كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلـة العلميـة

بلاغة رد الفعل
في
أباطيل وأسمار لمحمود شاكر

إعداد

د/ عماد سعد شعير

أستاذ النقد والبلاغة المساعد بكلية الآداب- جامعة حلوان
كلية العلوم والدراسات الإنسانية بحوطة بني تميم
جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز

(**العدد التاسع والثلاثون**)

(الإصدار الأول - الجزء الثاني)

(١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م)

بلاغة رد الفعل في أباطيل وأسمار لمحمود شاكر

عماد سعد شعير
قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة حلوان
كلية العلوم والدراسات الإنسانية بحوطة بني تميم- جامعة الأمير سطام ابن عبدالعزيز .
البريد الإلكتروني : a.shaier@psau.edu.sa

الملخص:
يعالج البحث رد الفعل المباشر أو المرجأ للمستقبل بوصفه استجابة مباشرة للانفعال برسالة المرسل، وتوافر آليات الرد بشكولها المتباينة، إقناعًا واستعطافًا، قبولاً أو رفضًا، وفق سياق التواصل. ويظهر نجاح المستقبل في إنتاج رسالة مقابلة أو نص إبداعي مواز يتحول فيها المرسل إلى مستقبل، ومدى تمكنه من تبئر رسالته في ذهن المرسل. وذلك من خلال التطبيق على مقالات محمود شاكر، التي كانت رد فعل مباشر لمقالات لويس عوض عن أبي العلاء المعري التي نشرها عام ١٩٦٤؛ ومن ثم يكشف البحث عن ماهية آليات الرد عند محمود شاكر وأبعادها الإقناعية أو الانفعالية أو الهجومية، لا سيما أنهما متباينا المرجعية الثقافية المؤثلة لتكوينهما، فشاكر عربي الثقافة تراثي المشرب، وعوض أوروبي الثقافة حداثي المشرب.

الكلمات المفتاحية : أباطيل وأسمار- إقناع - بلاغة - رد الفعل - لويس عوض - محمود شاكر.

The rhetoric of the reaction in Abateel and Asmar by Mahmoud Shaker

Emad Saad Shaier
the department of Arabic language - Faculty of Arts - Helwan University, Egypt.
Faculty of Science and Hummanities Studies at Hotat Bani Tamim - Prince Sattam bin Abdulaziz University, KSA.
Email: a.shaier@psau.edu.sa

Abstract :

The research addresses the direct or postponed reaction of the recipient as a direct reaction to the sender's message, and the availability of response mechanisms in their different forms, persuasion and sympathy, acceptance or rejection, according to the context of communication. The success of the sender in producing a corresponding message or a parallel creative text appears in which the sender converts into a recipient, and the extent to which he can focus his message on the sender’s mind. This is through application to the articles of Mahmoud Shaker, which was a direct reaction to the articles of Louis Awad from Abi Al-Ala ’Al-Ma’ari, which he published in 1964; then the research reveals what the response mechanisms of Mahmoud Shaker are and their persuasive, emotional, or offensive dimensions, especially since they are from different cultural references that formed their structure. Shaker is an Arabist who is committed to the Arabian heritage while Awad is a modernist who is more tied to the European culture.

Keyword : **Abateel and Asmar – persuasion - rhetoric - Louis Awad- Mahmoud Shaker.**

بسم الله الرحمن الرحيم

يستهدف هذا البحث الوقوف على ماهية استجابة المخاطَب الفورية أو المرجأة لمرسلة المرسل، بوصفها رد فعل مباشر تجاهها، قبولا أو رفضًا، إقناعًا أو نقدًا ونقضًا؛ إذ يمثل المستقبل أحد طرفي عملية الاتصال، ومدى تحول المستقبل إلى مرسل، ودوره في إنتاج المرسلة الموازية، وتوظيف آليات الرد الملائمة بنية وموضوعًا، سواء أكان المستقبل أحاديًا أم جمعًا. وذلك من خلال التطبيق على مقالات الشيخ محمود محمد شاكر في أباطيل وأسمار، لا سيما التي يرد فيها على الدكتور لويس عوض في قضية أبي العلاء المعري؛ إذ تمثل استجابة مباشرة ورد فعل فاعل على تسعة مقالات، كتبها لويس عوض عن أبي العلاء في جريدة الأهرام عام١٩٦٤م.

واختيار هذه المقالات قد يعكس لنا رد فعل خاص للمستقبل، واستجابة صريحة له، لا سيما أننا إزاء فكرين مختلفين، وثقافتين متباينتين (لويس عوض/ محمود شاكر)، ويعرف محمود شاكر ببنائه المعرفي الثرِّ، الذي يمتح فيه من التراث العربي والثقافة الإسلامية، ولويس عوض يمتح من الثقافة الغربية، ومن ثم حري أن نقف هنا على رد فعل المستقبل وفاعليته إزاء مرسلة المرسل، وكيف ضمنه آليات قبوله أو رفضه.

وقد فرض منطلق البحث أن ينتظم في مقدمة ومباحث خمسة وخاتمة، هي على النحو التالي:

المبحث الأول: المستقبل والاتصال.

المبحث الثاني: سياق رد الفعل في مقالات محمود شاكر.

المبحث الثالث: النص الموازي ورد الفعل، ويتضمن:(العنوان الرئيس، العناوين الفرعية، الإحالات الهامشية، الأقواس).

المبحث الرابع: السخرية ورد الفعل، (السخرية الخفية والبارزة).

المبحث الخامس: رد الفعل الإقناعي، ويتضمن أبرز التقنيـــات الإقناعيـــة: (الإيهام بالحجة/الحقيقة الوهمية، حجة التجهيل، الصورة وبناء الإقناع).

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

المبحث الأول

المستقبل والاتصال

تنبني عملية الاتصال على ثلاثة عناصر رئيسة، تشكل بنى أساسية في هذه العملية، (المرسل – الرسالة–المستقيل). ويبدو طرفا التواصل في حالة تبادل موقعي؛ إذ إن المرسل يتحول إلى مستقبل والمستقبل يتحول إلى مرسل لا سيما في الخطابات التفاعلية، الشفهية والكتابية؛ ومن ثم فإن المستقبل / المرسل إليه عنصر فاعل في الخطابات، بيد أنه قد يكون خاملا بل ميتًا في الخطابات التي تتخذ اتجاهًا كلاميًا واحدًا، حين يكون التواصل أحادي الاتجاه، مثل الخطاب العسكري والخطاب القمعي الاستبدادي وأحيانًا الخطاب التعليمي – يكون المتعلم فيه متلقيًا– الذي يفقد فيه المرسل إليه دوره وقيمته في عملية التواصل، إذ يتحول إلى متلق صامت.

مرسل(مستقبل) ⟷ رسالة ⟷ مستقبل (مرسل)

مرسل ← رسالة ← مستقبل

يتباين دور المرسل إليه في العملية التواصلية وفقًا لطبيعتها، إذ قد يكون التواصل أحاديًا أو ثنائيًا. والتواصل الأحادي يكون من مرسل لمستقبلين، مثل تواصل البث،" في هذا التواصل مرسل واحد يتحدث في آن واحد إلى عدد كبير من المستقبلين: منمق الكلام في معرض، مزود بحامل للصوت، يرش الحشد بكلامه، هو مثال جد تقليدي، لكن البث لا يأخذ بعده الحقيقي إلا مع وسائل الإعلام، التي فيها مرسل وحيد يبث من خلال قنوات تقنية لملايين المستقبلين: المذياع التلفزة مثالا جيدًا على ذلك" (١)

ولا يقف ذلك عند البث الشفهي، وإنما يندرج في إطاره البث عبر الكتابة المرئية، من خلال الصحف والمجلات العلمية، التي تكون أحادية الجانب بمرسل

واحد (كاتب) وكثير من المستقبلين (قراء)، ويتباين المستقبلون وفقًا لطبيعة المكتوب وسياقه وتوجهه.

في هذا النوع أحادي التوجه قد لا يقف دور المرسل إليه على الاستقبال، وإنما يتحول إلى مرسل؛ فيكون الاتصال ثنائيًا، فيتحول من الأحادية إلى الثنائية، لا سيما في المقالات الأكاديمية أو المقالات العامة؛ إذ قد لا تتوافق القضايا المطروحة والأفكار المعروضة مع رؤى البعض، فيتجلى أحد المستقبلين بالرد رفضًا ودفاعًا أو تأييدًا وقبولا.

ولا يكون الرد في هذا المنحى آنيًا من المرسل إليه، كما هو الأمر في الاتصال الشفاهي التقابلي، وإنما يرجأ الرد؛ فالمستقبل لا يكون حاضرًا حضورًا مباشرًا آنيًا، والمستقبلون " قد تكون لهم إمكانية الإجابة أو لا تكون (تواصل تقابلي-تناظري/أحادي الجانب). وهذا المحور (الذي يهيمن على آخر: الإجابة يمكن أن تكون مباشرة أو مرجأة كما هو الشأن التراسلي) [٢]

أما التواصل الثنائي فهو تواصل تبادلي بين المرسل والمستقبل، يستقبل كل واحد منهم ويرسل، ومن ثم فإنه لا ثبوت موقعي بين أطراف التواصل، وأجلى صورة لذلك المناظرات، المحادثات والحوارات الشفهية العامة والعلمية. وهذا التواصل ينماز بعدالة التوجيه أو الإرسال؛ ومن ثم يكون للجواب أو الرد دور مهم كما قال زيلتمان: " يتميز التواصل الثنائي الاتجاه في مجمله بكون الجواب ذا أهمية كمية أكبر من الإرسال ونتيجة لذلك يتطلب الإرسال والاستقبال مشاركة متساوية تقريبًا: المحاورة، المحادثة الهاتفية، تبادل الرسائل، أمثلة جيدة للتواصل الثنائي الاتجاه"[٣]

إن المستقبل له دور فاعل في فك شفرة الرسالة وتأويلها، وإعادة توجيهها توجيهًا يتوافق مع الكفايات الملائمة له، سياقيًا واجتماعيًا وثقافيًا ولغويًا، إذ إن

رسالة المرسل لا تأتي اعتباطيًا أو بحرية مطلقة منه، وإنما يتحكم فيها قيود المقام، والشروط الاجتماعية والموضوعاتية، كما قالت كيربرا أوركيوني: " ليس صحيحًا أن نتصور أن المرسل شخص يختار بكيفية حرة هذا أو ذاك من الوحدات المعجمية، هاته أو تلك من البنيات التركيبية دون قيد آخر سوى ما يريد أن يقوله، بل هناك قيود تظهر وتشتغل مصافا، تحد من إمكانيات الاختيار(وتوجه تقابليًا نشاط حل السنن) مصاف تنهض من نمطين من العوامل: الشروط الواقعية للتواصل، والخاصية الموضوعاتية والبلاغية للخطاب، أي بالجملة قيود النوع"(٤)

وتبدو المسافة بين طرفي الخطاب محددة لجوهر الاستقبال وطبيعته، بل إنها تفرض نمطًا من رد المستقبل على المتكلم، ولذلك " من المناسب إدخال العلاقة الاجتماعية والانفعالية التي تؤثر في المتكلم. هاته العلاقة تحدد انطلاقًا من معايير، وحسب درجة الألفة الموجودة بين عنصري التبادل الكلامي، طبيعة الطبقة التي تفرق بينهما عند الاقتضاء، العقد الاجتماعي الذي يربط بينهما"(٥)

إذن يأخذ رد فعل المستقبل إزاء المتكلم منحاه المتكئ على العلاقة بين الطرفين تآلفًا أو رفضًا، وهو ما يتجلى في توظيف البنية اللغوية في التخاطب، القائمة على التقريب أو الرفض. وهنا يظهر الطرفان بوصفهما دائرتين تتجافيان أو تتماسان أو تتقاطعان.

إن المستقبل يحدد رد فعله وطريقة فك رسالة المتكلم وتواصله معه؛ اعتمادًا على المخزون المعرفي المكون لديه عن المتكلم، اجتماعيًا وثقافيًا وأيديولوجيًا، وهو ما يمنحه توظيفًا ناجعًا للبناء اللغوي في إعادة توجيه الرسالة.

وتنبعث ماهية رد فعل المرسل إليه/ المستقبل من نمط الرسالة المرسلة وطبيعتها؛ إذ قد لا تُحدث تنافرًا بين الأطراف حين تدور في إطار الرسائل أحادية التوجيه، أما الرسائل التي تندرج في إطار التأويل والانزياح فإنها قد تكون محل

تباين بين الأطراف ونزاع، فينعكس على استجابة المرسل إليه للرسالة، وهو ما يعني أنه" إذا كانت الملفوظات العادية لا تثير مشاكل على مستوى التداول والتواصل والتخاطب، فإن النص الأدبي باعتباره ظاهرة تخاطبية بين المتكلم والمخاطب يثير عدة صعوبات بسبب الغموض، والانزياح، والتضمين، والتلميح، والأسطرة، لذا فعلى المتلقي أن يبذل مجهودًا لفك الخطاب الأدبي عن طريق عملية التأويل، وفك الرموز"(٦)

يتعامل المستقبل مع المرسلة ظاهرًا وباطنًا، لفظًا ومدلولًا، فيقف عند ظاهر اللفظ وتجلياته، أو تأثيره وانعكاساته الإيجابية والسلبية، وهو ما يوجه تأويله للنص وفهمه ورد فعله تجاهه، قراءة وقبولا أو ازدراء ورفضًا، سواء أكان النص أدبيًا أم غير أدبي.

المبحث الثاني
سياق رد الفعل في مقالات محمود شاكر

ترد مقالات الشيخ محمود شاكر – أباطيل وأسمار–في إطار الاتصال أحادي الاتجاه، الذي يرسل فيه المرسل رسالته إلى مجموعة مستقبلين كثر أو إلى فئة من الناس، وربما يتلقى المرسل ردًا أو استجابة أو لا؛ إذ إن الرسالة كتابية. وتأتي هذه المقالات بوصفها استجابة مرجأة من المرسل إليه إلى المستقبل، فقد كتبها الشيخ شاكر رد فعل مستقبل لتسعة مقالات كتبها الدكتور لويس عوض في جريدة الأهرام عن رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، بعنوان" على هامش الغفران شيء من التاريخ". فأثار المقال حفيظة الشيخ لما قرأ بيتين لأبي العلاء فيهما تحريف، قال:" قرأت هذا العنوان (على هامش الغفران شيء من التاريخ) وإلى جواره ما نصه، مكتوبًا بخط النسخ، محفورًا على الزنك، مطبوعًا على الورق! وسأنقله كما نشر بخطه :

صَلِيَتْ جَمْرَةَ الهَجِيرِ نهارًا	ثم باتت تَغُصُّ بالصُّلْبَان
أعباد المسيح يخاف صحبي	ونحن عبيد من خلق المسيح؟"[٧]

والشيخ معروف بدفاعه عن الهوية العربية والإسلامية بقوة وحزم، " فطبيعته تعودت على الجدية وما يصاحبها من إتقان وإخلاص للعمل ولذا فهو رفض أن يرى شططًا في النقد أو غلوًا في التفسير أو مغالطة في الوقائع والأحداث أو سطوًا على الغير"[٨]؛ ومن ثم تحول إلى مرسل بوصفه رد فعل لما كتب، فكتب ثُبة من المقالات اللاذعة التي لم يدخر فيها بنية من بنى رد الفعل إلا وجعلها محل كتابته تجاه الدكتور لويس عوض.

وقد بدا سياق الرد عن الشيخ في إطار العلاقة بين الثقافة العربية والغربية ومحاولة الآخر–الدكتور لويس عوض–الانتصار للثقافة الغربية على العربية،

وهو ما لم يقبله محمود شاكر، إضافة إلى محاولة التبشير التي وجد الشيخ ذفرها في ثنايا كتاباته-من وجهة نظره-ومن ثم انبرى بأدواته الدفاعية محـــاولا الـــرد على تلك المقالات. ولعل هذا هو السبب الرئيس لتحمل محمود شاكر عبء الـــرد على لويس عوض كما أكد القاعود بقوله:" تبين لنا أن المعركة تجاوزت مســألة تزوير أبيات المعري من قبل لويس عوض، وتعمد أن يوظف هذا التزوير لإشباع ميله إلى التعصب ورغبته في الإعلاء من شأن العلم الصليبي، وصارت القضــية الكبرى هي الصراع بين الحضارتين الحضارة الغافية (حضارة الإسلام) والحضارة اليقظة(الصليبية) وتعدد أساليب الصراع وميادينه". (٩)

إذن دار الاتصال استقبالا وإرسالا بين محمود شاكر ولويس عوض حــول وجهتي نظر مختلفتين، وهو ما تجلى في ردود الفعل الكتابية التي اتخذها محمود شاكر قبل الدكتور لويس عوض. ومعلوم ما يتمتع به الشيخ من قوة لغوية وجرأة في الدفاع عن الهوية.

تحمل محمود شاكر عبء مسئولية الرد بوصفه أحد المستقبلين للرســالة، ومن ثم فإن هذه المسئولية لابد أن تقوم علـــى دعـــائم ثابتـــة، وردود إقناعيـــة واقتناعية.

المبحث الثالث

النص الموازي ورد الفعل

هو النص المصاحب للنص الأساسي للكاتب والمحيط بـه، ويطلـق علـى" مجموعة من الملفوظات التي تحيط بالنص: العنوان، العنوان الفرعـي، التقـديم، الضميمةpostface، فهرس الموضوعات"(١٠). فهو النص الممهد للنص الأصلي والكاشف له، والباعث على استجذاب متلقيه. ويتنوع النص الموازي وفقًا لجيرار جينت بين النص المحيط التأليفي والنص المحيط النشري، أمـا الـنص المحـيط التأليفي فهو" الذي يُضم تحته كل من (اسم الكاتب، العنوان الفرعـي، العنـاوين الداخلية، الاستهلال، التصدير، التمهيد..." وأما النص المحيط النشري فهو" الذي يضم تحته كلا من (الغلاف، الجلادة، كلمة الناشر، السلسلة.....)"(١١)

وقد بدا النص الموازي عند محمود شاكر فاعلًا في رده على لويس عوض، من خلال العنوان والإهداء والإحالات الهامشية والأقواس التوضيحية.

١-٣ العنوان الرئيس :

لما كان محور النزاع ومفجر الصراع المعرفي هو أبو العلاء المعري، فـإن محمود شاكر تخذ منه مدخلا للرد من خلال العنوان، الذي يعكس رؤيتـه تجـاه لويس عوض، وتصوره وقصده الموجه للمستقبل؛ ومن ثم كان العنوان " أباطيل وأسمار".

العنوان عاكس لطبيعة مقالات لويس عوض، فهو خلاصة دالة على نتيجة التصارع الفكري بينهما، بما يحمله من شحنة دلالية مكثفة لقصدية محمود شاكر، فأقوال لويس عوض لا سند لها، فهي خبط عشواء؛ وبالتالي يقف القـراء علـى كنه هذه الأباطيل. فالعنوان يؤسس هنا للعلاقة المستقبلية بين الكاتب ومتلقيـه، من خلال عمله وما يحمله العنوان من دلالة؛ إذ " إن العنـوان باعتبـاره قصـدًا

للمرسل يؤسس أولا لعلاقة العنوان بخارجه، سواء أكان هذا الخارج واقعًا اجتماعيًا عامًا أم سيكولوجيًا، وثانيًا لعلاقة العنوان، ليس بصاحب العمل فحسب، بل بمقاصد المرسل من عمله أيضًا، وهي مقاصد تتضمن صورة افتراضية للمستقبل، على ضوئها-كاستجابة مفترضة-يتشكل العنوان لا كلغة ولكن كخطاب"(١٢)

ولم يقف الأمر عند ذلك وإنما دل العنوان على قدرة شاكر على انتقاء التركيب المؤثر في الآخر؛ إذ اختاره من ثنايا كلام صاحبه أبي العلاء نفسه، إذ يقول:"

هل صح قولٌ من الحاكي فنَقْبَلَه أم كلُّ ذاك أباطيل وأسْمارُ؟
أما العقولُ فآلت أنه كذبٌ والعقلُ غرسٌ له بالصدقِ أثمارُ"(١٣)

الكلمتان جامعتان لما يريده محمود شاكر ويقصده من رد فعل تجاه مقالات لويس عوض، ليرسله إلى المستقبل، بثنائية (الأباطيل والأسمار). فالكلمتان تدلان بوضوح على مرسلته.

ولما كان البيتان يؤشران إلى مرسلة المرسل وطبيعتها، ويحملان حكمًا ضمنيًا على مقالات لويس عوض بأنها أباطيل، لا يمكن أن تخضع لمقاييس العقل، التي تؤكد كذبها، جعلهما محمود شاكر واجهة تصدير كتابه، امتدادًا للعنوان الرئيس؛ ليكونا دالة ابتدائية للمستقبِل على عمل شاكر وتوجهه؛ إذ إن المستقبل ينطلق من العنوان إلى العمل بينما ينطلق المرسل من العمل إلى العنوان.

٢-٣ العناوين الفرعية :

لا تقل عناوين المقالات الفرعية فاعلية دلالية عن العنوان الرئيس؛ إذ إنها في حينها – قبل أن يضمها كتاب-كانت عناوين رئيسة، ومن ثم فإنها المرسلة

الأساسية وقتئذ من محمود شاكر، لمستقبله المباشر- لويس عوض- وغير المباشر.

وقد بدت عناوين المقالات المتفرقة متسلسلة مرتبطة بنية ومعنى، إذ بدأ ب" ليس حسنًا" ثم " بل معيبًا" و" بل قبيحًا" و" بل شنيعًا"(١٤)، بنية لغوية ثابتة، بل(مفعل/فعيل) (معيبًا، قبيحًا، شنيعًا)، وبل تقر ما قبلها وتثبت ما بعدها، فتقر عدم الحسن، وتثبت العيب والقبح والشناعة المسندة إلى لويس عوض ببنية إيقاعية، سواء أوقع عليه أم صدر منه.

وهذا التسلسل بدا أيضا في العناوين (هذه هي القضية) ثم أتبعها "وهذا هو تاريخها، وهذه هي آثارها، وهذه هي أخبارها، وهذه هي أخطارها"(١٥)، ببنية لغوية ثابتة متسلسلة، تعكس تفكيرًا منطقيًا واضحًا، ونسقًا منهجيًا محددًا.

وتأتي العناوين الأخرى عند محمود شاكر بوصفها رد فعل في إطار التناص الديني، مثل:" نار حامية" و" أم على قلوب أقفالها" الذي رد فيه على لويس عوض في اتهامه له بالتعصب وإثارة الفتنة القومية والدينية.

العنوانان موجهان إلى المستقبل الخاص- لويس عوض- والعام أيضًا، بيد أنهما يرسلان المرسلة إلى المستقبل الخاص مباشرة، إذ يستدعي محمود شاكر في " أم على قلوب أقفالها" دعوة المنافقين لتدبر مواعظ الله وحججه في القرآن الكريم الذي أنزله على نبيه؛ حتى يعملوا بها؛ أم أن الله أقفل على قلوبهم فلا يتبينون ما في كتاب الله ولا يعقلون، وهذه الحال يسقطها محمود شاكر على لويس عوض، الذي قُفل الله على قلبه، فلا يتدبر الحجج التي يرسلها شاكر ولا يعقلها، لا سيما أن محمود شاكر تحدث في بعض المقالات عن التبشير، وأطلق عليه" صبي المبشرين" .

وأما "نار حامية " فقد سبقه شاكر ب" وما أدراك ماهي"، والعنوانان آيتان في سورة القارعة، توحيان بالنار وعذابها وتعظيم أمرها وشدة حرها، ولذا تحدث فيهما عن العامية والفصحى، ثم انتقل من لويس عوض إلى زاهر رياض في مقاله " نار حامية".

اعتمد محمود شاكر على التناص القرآني في تأسيس العناوين؛ ربما لمواجهة الحملة التبشيرية التي دعا إليها لويس عوض-في رأي شاكر-فكانت العناوين أداته الأولى للدفاع عن فكره ومعتقده تجاه الآخر، وقوة فاعلة في استجذاب المتلقي العام وإقناعه.

٢-٣ الإحالات الهامشية :

قد يدخل في النص المحيط التأليفي الأقواس التوضيحية، والإحالات الهامشية، وهي ليست أساسًا في النص وإنما كشفية للمتلقي أو استهزائية بالمرسَل، وهي سمة أسلوبية من سمات محمود شاكر في مقالاته، لا سيما أنه يستخدم اللغة الفصيحة التي قد تبعد عن ذهن المتلقي العام، فكان حريًا به أن يوضح الذي يبدو غامضًا أو مستغلقًا على القارئ.

وأهم الإحالات الهامشية التي تسهم في تأصيل توجه محمود شاكر إشارته إلى الجامعة التي حصل منها لويس على الدكتوراه، قال:" الدكتوراه الممنوحة للويس عوض من جامعة برنستون، وهي مركز من مراكز المبشرين الكبار فالأمر لا يحتاج إلى تأمل"[١٦]. وجامعة برنستون من أهم الجامعات الأمريكية التي ترتبط في نشأتها بالكنيسة المشيخية في أمريكا، وهي طائفة تعنى بالتبشير والالتزام بالكتاب المقدس؛ ومن ثم اتخذ منها شاكر الدليل على سعي لويس عوض إلى التبشير؛ إذ تلك نشأته وتعليمه، فأهدافه لم تكن تثقيفية فقط، وهو ما ارتكز عليه في مواضع شتى في متن موضوعه.

وقد ألمح محمود شاكر في هامشه أيضًا إلى ذلك المنحى المؤثل عند لويس عوض، فجعله متدسسًا على جريدة الأهرام، قال: " لا يدري المرء هل يأسف أم ييأس؛ لأن هذا المتدسس إلى جريدة الأهرام، لايزال يدير المسرح الذي ينفث فيه الخطر من جميع نواحيه، على يده وعلى يد شيعته، بعد مضي ست سنوات على كتابة هذا النذير سنة١٩٧١م " . [١٧].

وربما لم يمتن شاكر هذا الكلام وهمشه؛ لأنه لم يكن موضوع الحديث، فأشار إليه في الهامش مرتكزًا على فكرة الاندساس التي يلح عليها كثيرًا تجاه خصمه ولم تنته؛ ليوجه انتباه القارئ والجريدة في الآن نفسه إلى عدم وجود تغيير في دعوته؛ إذ ذكر ذلك تعليقًا على قوله: " كنت على تمام اليقين من أمر هذا المتدسس إلى أكبر الصحف العربية واتخاذه إياها مسرحًا لعرض فصل مفزع شديد الخطر على الناقلين عنه"[١٨] فألجأه ذلك إلى أن يهمش هذا الكلام بالإشارة إلى استمرار في الجريدة.

ويؤكد محمود شاكر في أحد هوامشه دور لويس عوض في الصحيفة العريق الأهرام بقوله:" كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت كتاب في اللغة"[١٩]؛ إشارة إلى أن الأهرام ذكرت أنه كتاب في المنطق في وجود المستشار الثقافي؛ ليرمي إلى أن وجوده لا فائدة منه، فلا معرفة له بالتراث العربي، فالكتاب في اللغة لا المنطق؛ ولذلك قال:" وإذا غاب المستشار الثقافي فليت شعري من كان يستطيع أن يمدنا بمثل هذه المعارف"[٢٠].

المساحة الهامشية عند شاكر قليلة، وهذا يتوافق مع بنية المقال التي تنأى به عن الهامش؛ نتيجة حجمه الذي يلائم المطروح وكذلك المتلقي.

٣-٤ الأقواس :

أما ما يتعلق بالأقواس التوضيحية فهي جد كثيرة عند شاكر؛ إذ لا يكاد يخلو منها مقال، لا سيما التي وردت في سياق التوضيح أو النعت السلبي للويس عوض. فشاكر بعد أن يتهم لويس عوض بالجهل في قراءة الشعر نجده يتهمه أيضًا بعدم معرفة العربية، قال:" فهذا نص مكتوب بالعربية (مع الاعتذار للدكتور) سندرسه على منهجنا نحن في المدارسة وهو البداهة والعقل لا على منهج الدكتور لويس عوض"(٢١).

يخرج محمود شاكر لويس عوض من إطار فهم العربية، فهو ليس ابن جلدتها، ومن ثم يدرس على منهجه هو، وهذا ما أكده أيضًا بقوله:" ويدل تنكيره " يومًا" على تكرار ذلك في أيام متعددة (وهذا صعب على الدكتور فهمه، فأعتذر)"(٢٢)، فإذا كان لا علاقة له بالعربية فإنه يصعب عليه الوصول إلى دقائقها.

فالتعبير (مع الاعتذار للدكتور) بما يحمله من شحنة إيحائية يعكس رؤية شاكر وتصوره تجاه لويس عوض، وما يريد أن يجعله قارًا في ذهن المتلقي، من أنه يقرأ بلسان غير عربي ويكتب؛ ولذا فإنه خلع عنه فطنة الجامعي فقال:" وبقليل من فطنة الجامعي (وأخيرًا أعتذر لأساتذة الجامعات لأني لا أعنيهم بهذه النسبة) يستطيع الشادي أن يعلم علمًا..."(٢٣).

يستثني محمود شاكر أساتذة الجامعات من قلة الفطنة التي خلعها على لويس عوض، وهذا يأتي على هامش النص وكذلك رد الفعل، بيد أنه مهم في موضعه.

ويأتي القوس عنده من باب التعجب والإنكار فيقول:" والدكتور بالطبع قد درس كل شيء وأحاط بما لدينا!! وهذا شيء ينبغي الإقرار له به والصبر عليه

(والله زمن! كما تقول العجائز)"[٢٤]. فهذه عبارة عامية فصحي، يستنكر بها محمود شاكر على لويس عوض؛ مرجعًا ذلك إلى هذا الزمن.

وقد استخدم شاكر الهجوم الحاد على لويس بقوله:" وأيا ما كان الدكتور لويس عوض، فإن الرؤساء لا يكتبون إلى فتى في أول عمره (كما يقول التالف صاحب الخبر)"[٢٥]. والقوس هنا لا علاقة له بالمطروح، ومن ثم يضعف وجوده ويقلل فاعليته؛ لأنه يتوجه إلى شخص الآخر وذاته دون الموضوع.

هذه الأقواس قد تكون على هامش المتن، بيد أنها تمثل رد فعل منه تجاه الآخر، يستجذب به المتلقي لطرحه، ويؤكده كثيرًا في مواضع شتى.

ويرد القوس التوضيحي المفسر عند محمود شاكر سمة بارزة في مقالاته؛ إذ كثيرًا ما يفسر ما يبدو مغلقًا أو ما قد يشكل على القارئ، وهو سمة في كتابات شاكر، فيقول في توضيح (السمادير) في قوله:" ولا يقول إلا مختلط العقل من سمادير الهوى والإدمان (والسمادير ما يتراءى للمخمور إذا دار رأسه من سكر الشراب)"[٢٦]، وهي لفظة متداولة عند شاكر في مقالاته؛ لأنها تجسد موقفه من لويس عوض ورؤيته لما يكتب.

وفي وقوله " فيشد الزِّق على خَصر أو يلقيه على منكبه (والزِّق، القربة).... ويَشْنِق عنقه (أي يرميها إلى الوراء مرفوعة)[٢٧]، وكذلك في قوله واصفًا لويس عوض بالفارس:" يواجه أعين الناس بما يكتب، فيخرج عليهم كأنه بطل باذخ عليه أُبّهة الظافر الميمون الطائر؛ ليراه الناس في كلامه راكبًا حصانًا أشهب(فيه بياض) وعليه لأمة المحارب(أي سلاحه) على رأسه الخَوْذة وعلى بدنه، من فَرْق رأسه إلى نصف ساقيه سابغة زَغْفٌ (أي درع ضافية لينة) تتلألأ، وفي قدميه زُربول (وهو الحذاء باليونانية) وفي يمناه قِنْطارية (وهي الرمح

الثقيلة باليونانية)، ويسراه الدِّرَفْس الأعظم(وهو الدَّرابو، أي العلم) ثـم يتبختـر جيئة وذهابًا بالعجب والصلف"[٢٨].

جلي هنا أن محمود شاكر يبرز للآخر قدرتـه اللغويـة ودرايتـه بألفـاظ يونانية، وهو ما قد لا يصل إليه لويس عوض؛ ليؤكد عدم قدرته علـى قـراءة التراث العربي، وهي الفكرة التي يلح عليها كثيرًا، إضافة إلى أن المتلقـي العـام والخاص أيضًا قد تشكل عليه هذه الألفاظ، ومن ثم عليه أن يضعه في سياق الفهم والقراءة؛ حتى لا يخرج عن المسار المحدد له، أو تعجزه تلك الألفاظ فينأى عـن أن يكون قارئًا فاعلا، مشاركًا في بناء النص.

وهذه سمة من سمات خطاب شاكر عامة، فإن " أهم مـا يميـز الخطـاب السجالي لشاكر دقته في الكلمات التي يستخدمها؛ حيث تؤدي المعنى الذي يقصده بعناية، وحرص شاكر على الدقة في عبارته جعله يطلب من غيره هذه الدقة"[٢٩]

ولعل أهم الأقواس التوضيحية الشارحة ما تعلق بلفظة الشَرْلتان التي رددها كثيرًا أيضًا، قال:" ونسأل الله أن يجنبنا شر كـل شَـرْلتان كـان أو هـو كـائن (والشرلتان، بفتح الشين وسكون الراء، معروف في لغات العجم، وله في العربية سبعون اسمًا على الأقل، أو كما قال شيخ المعرة"[٣٠].

ثم يشرح اللفظ في موضع آخر قائلا:" وقد سألني كثير من الناس عن معنى" الشرلتان" عند الأعاجم، ولم يقنعوا بمرادفاته التي ذكرتها مقابلة له في العربيـة، كالدعي، والدجال، والمشعوذ، إلى آخر تلك الصفات التي يمسك بعضـها بثيـاب بعض، أو برقاب بعض إذا شئت. فأصل الشرلتان عند الأعاجم، هو المشعوذ الذي يقف على لَقَم الطريق (واللَّقَم، بفتح اللام والقاف، وسط الطريق أو رأسه) يُحسِّن بضاعته؛ لتنفق عند الناس، ويزين عوَارها وفسادها بألفاظ مفخمة محبرة، تميـل إليها أسماع العامة، وتأخذهم من غَفَلاتهم، فيكونون أسـرع اسـتجابة للفظـه،

وتكون أيديهم أعجل إلى جيوبهم، فهو سارق أموال باللفظ المحبَّر! ثم استعمل " الشرلتان" لأخيه وشبيهه، وهو الرجل الذي لا يزال يلوك ألفاظًا يلتقطها من هنا ومن ثَمَّ، بلا عقل وبلا تمييز، ثم يتخذ الدعوى العريضة وسيلة للإقناع، ثم يلبس من التظاهر لباسًا كالطَّبْل ظاهره ضخم وباطنه أجوف، ثم يصنع من هذه الأخلاط الثلاثة جُرعة مسكرة للعامة وأشباه العامة؛ ليقال إنه عالم واسع العلم متبحر، وحاذق لطيف الحذق مترفق، وبارع تام البراعة متفوق! فهو سارق عقول باللفظ المحبر! ولكنهما جميعًا لا يسرقان إلا السخيف العقل، الذي لا ينظر ولا يتماسك"(٣١).

يوجد محمود شاكر المرادفات العربية للشرلتان، بيد أنه يضع المتلقي في سياق أصل المفهوم اللغوي للفظ عند العجم؛ حتى يكون على وعي بمراد استخدامه منه، وكيف يحيط اللفظ بالمعنى الذي يطرحه شاكر.

وهذا المفهوم الذي يطرح الغي اللفظي للإيقاع بالآخر في فخه المادي، أراد محمود شاكر أن يسقطه على لويس عوض بإيقاعه للمتلقي العام في الفخ المعرفي، ومن ثم فإن توظيفه للفظ مبني على رؤية رافضة وتصور قار تجاه لويس عوض، ومدى قدرة محمود شاكر على إشراك المتلقي العام والخاص في بناء هذه الرؤية وتقريبها إلى ذهنه، من خلال التساؤل عن تلك اللفظة الغريبة على أسماعهم؛ مما يدفعهم إلى التوقف عندها، لا سيما أنه وظفها في مواضع شتى من مقالاته، فكانت بؤرة اهتمامه وتركيزه.

ولم يكتف محمود شاكر بشرح اللفظ وإنما اعتمد بنية تفسير المفسر، وهذا يشي بجبلة شاكر اللغوية، وربما لإظهار براعته في التوظيف الحي لألفاظ التراث التي لم تعد متداولة، وهو أمر مقبول؛ لأنه في تحاور معرفي مع لويس عوض أو تخاصم معرفي – إن جاز التعبير –فبين المراد من لفظة(لَقَم)؛ حتى لا يضع

المتلقي وضع المستغرب، ويصور للويس عوض اطلاعه على خفايا اللغة التي يتخذها مفتاحًا للنقد والدحض.

وقال محمود شاكر أيضًا شارحًا وموضحًا:" وقيل لشيخ هِمّ (بكسر الهاء، وهو الشيخ الكبير البالي) أي شيء تشتهي؟ فقال أسمع الأعاجيب"[٣٢]

البادي أن اللفظة غير دارجة أو مستعملة على الألسن، بيد أنها موظفة في تموقعها لخدمة توجهه في تأكيد سماع الأعاجيب، من شيخ لم يألف ما يتلى عليه. ولعله لو استخدم اللفظ الدارج (الشيخ الكبير البالي) ما حقق من الوقع والتأثير، ولفت الانتباه انتباه المتلقي في الآن مثلما حقق لفظ (هِمّ)، فاللفظ الغريب يستوقف القارئ العام والخاص؛ لاستكناه معناه وربطه في السياق، وإبداء الرأي إيجابيا في مستخدمه تعاملا مع التراث اللغوي.

ولم يقف محمود شاكر عند التوضيح، وإنما وظف الأقواس لوضع المقابل الفصيح للكلمة العامية الدارجة، قال:" ولم يكن يظن ظنًا أنه قادر على أن يتحرك في عمود واحد من إحدى الصحف السرية فإذا به (يبرطع) في ثمانية أعمدة في أكبر الصحف في العالم العربي والإسلامي، هي الأهرام،....... ويأتي في خلال برطعته (وهي البَلْتعَة بالفصحى) بالعجائب التي لا تنقضي"[٣٣]

فالقوس هنا لم يكن توضيحًا وإنما لإبراز القدرة اللغوية وإفادة المتلقي؛ فذكر اللفظ المعادل للعامي، الذي يشي بالسيطرة والهيمنة بلا مبرر.

وقد بدت هذه القدرة في رده على الدكتور محمد مندور الذي دافع عن لويس عوض، مؤكدًا اتهام المعري في دينه، فإذا شاكر يظهر القدرة اللغوية تصريحًا وعمدًا، قال:" من الذي أخبر الدكتور مندور أن هذا ثابت أكيد؟ وهل أحاط علمًا بما يدعي ثبوته وأكَادته؟(وهذه لفظة جديدة، استعملتها للدكتور خاصة!)"[٣٤] .

يدرك محمود شاكر ويعي توظيف الألفاظ اللغوية الفصحية، وتموضع كل لفظ، وتوجيهه المسار الذي يحقق به مقصديته من الخصم خاصة أو المتلقي عامة، لا سيما حين يتخذه أداة دفاع أو هجوم.

ولا شك أن الأسلوب اللغوي الذي اعتمده شاكر فرض ذلك المنحى، يفعل فيه تقنية القوس المضفر نصًا أو الشارح الموضح معنى؛ رغبة منه في إشراك المتلقي وإبراز فكرته، أو إظهار المخزون اللغوي الذي يمتح منه؛ وإظهار الفقر اللغوي لخصمه؛ فموضع الخلاف يتعلق باللغة ابتداء وقراءة الشعر انتهاء، ومن ثم فالقوس الذي لم يكد يخلو منه مقال بنية رد تجاه الآخر ظاهرة وضمنية، جعلها شاكر أداة ركيزة في الزود عن رأيه وفكره.

المبحث الرابع

رد الفعل الساخر/السخرية الخفية والبارزة

قد ترتبط السخرية بالإقناع، وقد ترتبط بالقدح من الآخر والحط من قدره، وكلتاهما لها دور، فالسخرية المتعلقة بالموضوع والإقناع أنجع في تحقيق غاية الساخر، أما السخرية من الذات المستقبلة فهي لا تنزل منزلة الإقناع وإنما التقليل من شأنه، فلا ترتبط بالموضوع، بل قد تكون عبئًا على المرسِل، لا سيما حين يحتل المسخور منه موقعًا من الجمهور العام.

وقد وردت السخرية عند شاكر بالمنحيين: الإقناعي- بما يطرحه- والاستهزائي والإضحاكي أحيانًا من لويس عوض، وهو المنحى البارز في مقالاته، فلا يكاد يخلو مقال من سخريته واستهزائه منه، وهي سخرية لا يقصد به الاستهزاء في ذاته، وإنما السخرية مما يعرض مخالفًا للمنطق، إذ إننا نسخر؛" لأن هناك ما يثير السخرية ونقصد به ما هو خلاف المنطق والعقل والمألوف سواء أكان المألوف حقًا أم باطلا، فمن خالف الباطل بالحق سخر منه"(٣٥).

أحيانًا قد توجه السخرية إلى الآخر تقليلا من علمه، لا من ذاته الإنسانية -كما أشرت آنفًا-إذ يحافظ محمود شاكر على البعد الوجودي للآخر، فهو ليس مقصودًا بذاته كما ذكر، وإنما هو رمز من رموز اليونان والروم.

وقد صرح بهذا المنحى الهزلي الساخر في مقالاته، قال:" فإني إنما خلطت هزلا بجد؛ لأني عرضت لآدمي هو هزل كله، ولكن المقادير وضعته بحيث يحمل ما يقوله محمل الجد، فحدثني كيف أستطيع أن أتقي مالا مفر منه من الهزل الناشب في حلق الجد؟"(٣٦).

يعلل محمود شاكر استخدامه لهذا المنحى الهزلي بالتخفيف عن القارئ، وكان لويس عوض هو مادة ذلك، قال:" ولكن لولا" أجاكس عوض" لكان الجد

المحض أغلب ما أكتب والجد إذا طال فربما ثقل، فكان من رحمة الله بنا وبالناس أن سخر لنا " أجاكس عوض" حتى يحدث لنا وجود اسمه وتكراره طرفًا من " الانبساط" و " الفرفشة" يتخلل ما نعاني من جد الحياة، وما نحمل من أثقالها"، وقال:" فلنتخفف ببعض الباطل ليكون معوانًا لنا على طلب الحق، وببعض الهزل ليكون أسرع بنا في طريق الجد، فحرصت على أن لا يفارقها هذا الصبي العاقل". (٣٧)

يصرح محمود شاكر بأنه سوف يجدل الجد بالهزل، بيد أن الجد سيغلب على الهزل، ولكن كيف يوظف شاكر الهزل سخرية أو استهزاء في رد الفعل الفاعل تجاه لويس عوضه وما يقدمه؟

لا غرو في أنه وجه السخرية من خلال منحيين بارزين: المنحى الذاتي المتعلق بالطرف الآخر وهو منحي ساخر عنيف أحيانًا، والسخرية الموضوعية المتعلق بالموضوع.

ولعل السخرية الذاتية البارزة عند شاكر تجاه لويس عوض ارتباطه بالعمل الجامعي؛ بوصفه أستاذًا للأدب الإنجليزي، وهذا محور اتكأ عليه شاكر في الترسيخ للسخرية، التي تحمل في طياتها تناقضًا، فنجده في مواضع شتى يقول:" وهذا أستاذ جامعي صاحب منهج لم يخطر بباله قط أن المبتدئ في دراسة الآداب أن يتتبع أي خبر وجده؛ لينظر أين جاء؟ ومتى جاء؟"، "وهذا أستاذ جامعي يأتي منتفخًا منتفشًا ليكتب عن أثر أدبي لرجل لا مغمور ولا مجهول"، "وهذا أستاذ جامعي ينتهي بعد هذا الغثاء كله إلى أنه لا يصح شيء في العقول ولا في الكتب سوى أن أبا العلاء تعلم في أنطاكية"، "وهذا أستاذ جامعي يدخل في الشطر الثاني من سلم منهج"(٣٨).

لا شك أن هذه التعبيرات تستبطن معنى ساخرًا، فمحمود شاكر يريد أن يظهر أن ثمة تناقضًا بين المسمى / اللقب الجامعي والواقع، وأن هنالك تباعدًا بينهما، فيحاول أن يبرزه في مواضع تبدو لا منطقية، وهو تكئة في السخرية؛ إذ " يقوم المتحدث الذي ينجز فعلا ساخرًا بإسماع صوت شخص آخر هو المتلفظ، وذلك بتقديمه في وضع لا منطقي"(٣٩)

أراد محمود شاكر أن ينتزع منه هذا اللقب ويجرده منه؛ حتى يقر في ذهن المتلقي أنه ليس أهلا له، وهو ما أكده بقوله: " فإذا لم يكن هذا السلوك سلوك أستاذ جامعي، ولا مبتدئ جامعي، ولا طالب ثانوي، ولا أحد من عُرض الناس يشدو دراسة الآداب أيا كانت، وفي أي لغة شئت، فكيف أستحل بعد ذلك لنفسي أن ألزق باسمه لفظ" دكتور" ؟"(٤٠).

إنه يريد أن يؤكد طرحه بأن لويس عوض لا يحمل أي لقب، وهو ما صرح به بقوله:" وقد كشفت النقاب عن لويس عوض في مقالتي السالفة فعرضته كما هو في حقيقته لا أديبًا، ولا متأدبًا، ولا مفكرًا، ولا دكتورًا ذا طيلسان وجلاجل بل حاقدًا على العربية وكتابها وأهلها"(٤١).

ولا يزال يلح على هذا الأمر ويكرره حتى بات ظاهرة لافتة، وسمة بارزة في مقالاته، يقول: " ولقد بينت في سياق المقالات الخمس السالفة في جملة الرسالة أن هذا الرجل أراد أن يوهم الناس بأنه أستاذ جامعي يدرس أثرًا أدبيًا باللقب الذي يحمله، ولا أدري كيف جاءه"(٤٢).

ينكر ساخرًا من كونه أستاذًا جامعيًا، وكيف وصل إليه اللقب دون أن يكون مؤهلا لذلك. فهو لم يحصل عليه وإنما جاءه، وهذا مبعث السخرية منه؛ إذ إن اللقب ألزق به زعمًا.

لعل إنكاره كان تمهيدًا لسخرية لاذعة منه، من خـــلال المحاكـــاة الســـاخرة القائمة على التناص الواقعي بين جرير والفرزدق، قال: "وبالثقة التي منحته إياه صحيفة الاهرام، وبالثقة التي يحملها القارئ لهذه الصحيفة، اســـتطاع أن يـــدخل هذه الدراسة وعليه طيلسان أستاذ جامعي، وإن كان هذا الطيلســـان عنـــدي فـــي الحقيقة، كلباس الفرزدق حين جاء للقاء جرير، في الديباج والخز، وجاءه جريـــر في لباس المحارب، متقلدًا سيفه وفي كفه الرمح، فوصف ذلك جرير فقال:

لَبِست سلاحي، والفـــرزدق لُعبـــةٌ   عليـــه وشـــاحًا كُـــرَّج وجَلاجِلـــه

(والكُرِّج بضم الكاف وفتح الراء المشددة، دمية يلهو بها الصبيان، تـــزين بالوشي، وتعلق عليها الجلاجل والأجراس). ومع ذلك فقد رضيت كارهًا أن أعامله معاملة أستاذ جامعي، لا لشيء إلا لأثبت أنه غير مستحق لهذه الصفة بوجه مـــن الوجوه"(٤٣).

إنها سخرية صريحة مباشرة من لويس عوض وما يرتديه من الطيلســـان، فهو دمية مزينة، يلهو بها الآخرون، فهو ينزل منزلة الفرزدق من جرير.

إنه لا يريد هنا عكس ما يقوله، وإنما يصرح بما يريده، بتضمين نصـــي، فهي سخرية مباشرة من لويس عوض وأستاذيته المزعومة، وهي الفكرة التـــي يلح عليها شاكر ويحاول أن يرسخها في ذهن المتلقي العام والخـــاص ويجعلهـــا قارة لديه، من خلال ربط المتلقي بين لويس عوض والفرزدق، و" القـــارئ فـــي سياق المسار التأويلي، ملزم بتشييد الدلالة الساخرة؛ اعتمادًا على قدراتـــه التـــي تتكون من القدرة اللغوية والثقافية والأيديولوجية. وتعد هذه الاستراتيجية مشتركة لكل هذه الصور: السخرية والمحاكاة الساخرة والهجاء الانتقادي"(٤٤).

ويمزح محمود شاكر بين السخرية والإضحاك والألم في قوله" وهذا أستاذ جامعي، ولا أدري من أي شيء سُوِّيَ أديم وجهه يقول علانية إنه جاء يعلم الناس الإنسانيات"(٤٥)

يتجلى عنف السخرية من خلال التعبير اللغوي المؤلم في قوله " من أي شيء سوي أديم وجهه"؛ ومن ثم فالسخرية هنا لا تحمل بعدًا استدلاليًا أو منطقيًا تجاه القضية أو الآخر، بقدر ما تحمل بعدًا استهزائيًا منه يصل إلى حد الإضحاك، وهو جوهر السخرية التي هي" رد فعل الذات عندما تواجه الخطير أو الأحمق أو القاتل في العالم الموضوعي. الإنسان الساخر يضحك من الآخرين كما يضحك أيضًا من نفسه"(٤٦)

وهذا قد لا يكون ناجعًا بوصفه رد فعل منطقي، وإنما تكون نجاعته في استجذاب الجمهور المؤيد للساخر، وفي تقوية ثقة الساخر بنفسه وإضعاف ثقة الآخر؛ لأن هذه التعبيرات تحط من قدره وقيمته، وتجعله مناط استهزاء وضحك، خصوصًا حين يحتل رتبة بين متابعيه ومؤيديه مثلما ذكر شاكر.

ولعل ذلك تبدى جليًا في تقليل محمود شاكر من لويس عوض في قوله:" واحتجت إلى استخراج طبيعة هذا الشيء المسمى لويس عوض من نص كلامه ومن ظاهر ه وباطنه"، وقوله:" وهذا نجاح مدهش ولا شك، وحق لمالئه أن يَميد به الغرور وتستخفه الخبلاء باختراعه هذا العجيب! فهذه هي الفصيلة التي لا تنكر للاختراع المسجل (لويس عوض)!"، وقوله: " وأما فضل هذا الاختراع المذهل (لويس عوض) فإنه جمع في كل ما كتب عامة، وفي مقالاته التسع عن شيخ المعرة ورسالة الغفران ضروبًا من الخطل والترهات والسمادير والألاعيب والنزق واللكاعة، والهَوَج والخُباط (بضم الخاء، وهو تخبط العقل)"(٤٧).

(الشيء/الاختراع المسجل/الاختراع المذهل) ثلاثة التعبيرات تعكس سخرية من لويس عوض واستهزاء، فإذا كان الشيء " هو الموجود الثابت المتحقق الوجود في الخارج"(٤٨)، فإن محمود شاكر أراد التصغير من شأنه والحط منه، فهو مجرد موجود لا أثر له، ولو قال " اللا شيء" ما حقق التعبير تأثيره؛ لأنه سيكون هجاء مباشرًا، أما التعبير الآخر فهو يجمع بين الحقيقة الظاهرة والمعنى المتضمن، فهو بالفعل موجود متحقق ثابت، لكنه في التصور الذهني لا قيمة له ولا وجود؛ ومن ثم يمتد تأثير ذلك إلى أنه اختراع مذهل ومسجل، فهو اختراع، والاختراع المذهل تعبير يحمل دلالة مفارقة (أي لا فائدة منه ولا قيمه) وهي المقصدية الأساسية لمحمود شاكر.

ولعل السخرية المتضمنة للبعد الدلالي المباشر والضمنى القائم على المفارقة كانت أكثر وضوحًا ومقصدية في قول شاكر:" وبمهارة الأذكياء ذوي العقول الراجحة يقول بعد ذلك مباشرة وهو يفهم . أي (لويس عوض)! إن الاعتراف باللغة المصرية لا يتبعه بالضرورة موت اللغة العربية، إذا احتاط الناس كذلك (وأكبر الاحتياط هو وجود لويس عوض بالطبع!)"(٤٩).

المفارقة هنا في وجود التعبيرات الساخرة، وما تتركه من الدلالات التقابلية العكسية، فهو (من الأغبياء بلا عقول) وهو (لا يفهم) وهذه هي الدلالات السلبية المقصدية التي يرمي إليها شاكر؛ إذ إنه جوهر السخرية، فهي "تعنى دائمًا الاستهزاء والتنقيص والتقويم السلبي لفرد أو لشيء معين؛ لذلك فهي لا تتوقف عند توليد أثر المعنى الساخر كما يحيل إلى ذلك البعد الدلالي للسخرية، ولكنها تتضمن أيضًا التقويم الذي يقترن بحكم سلبي"(٥٠).

فالحكم السلبي المتضمن في سخرية شاكر يؤكد عدم الفهم أو توافر العقل، ولذلك يشير أيضًا إلى ذلك في قوله:" فليس هناك ما يمنع قيام الأدبين جنبًا إلى

جنب اللهم إلا إذا شككنا في جدارة اللغة العربية والأدب العربي وقدرتها على الحياة (يا سلام ما أعقلك)". (٥١)

تتجلى دلالتا التعبير الظاهرة المباشرة والعكسية المقترنة بحكم سلبي (لا عقل له)، وهو ما يقصده شاكر؛ ليؤثر في المتلقي، ويجعل فكر ته وحكمه قريبين من ذهنه، بل يصر على أن يقتنع به من خلال تكرار المعنى السلبي والإلحاح عليه، والهدف الرئيس منه الاستهزاء والذم، والإنقاص من شخص المسخور منه لويس عوض.

وقد وظف محمود شاكر ذلك النمط من السخرية حتى بدا النص المقدم نصًا ساخرًا خالصًا، يظهر براعته وقدرته على توظيف السخرية، حين عرض لكلام لويس عوض عن أبي العلاء:" فأنا أحب أن تحدثني بأي وجه يستطيع عاميٌّ سوقيٌّ فضلا عن شاد مبتدئ، فضلا عن أستاذ جامعي زعموا أن يقول ما قاله الدكتور لويس عوض في مقاله الخامس. والحق أنه لا يعرف شيء عن تعليمه الرسمي (يا سلام، ما أفصحك!! الرسمي مرة واحدة) حتى سن العشرين، وهي سن التكوين (خذ بالك من فضلك!) إلا أنه تعلم في حلب، ثم في أنطاكية، ثم في اللاذقية (بالطبع بالطبع) ثم طرابلس، ومثل هذا الغموض الذي أحاط بتكوينه العقلي(يا أستاذ) حتى سن العشرين، يحيط أيضًا بحياته كلها فيما بين العشرين والخامسة والثلاثين(مهلا يا موسيقي القِرَب، وحنانيك يا ريكاردوس قلب الأسد!!)". (٥٢)

جمع محمود شاكر بين السخرية المتضمنة للدلالة العكسية والحاملة للاستهزاء والضحك، من خلال التعبيرات المضفرة بالنص المتموقعة، بوصفها رد فعل مباشر تجاه المطروح غير القبول، فجعلها انعكاسًا حقيقيًا عن رأيه وتصوره، وإن لم يعرض للقضية.

التعبيرات المتموضعة (يا سلام ما أفصحك)، (يا أستاذ) تحمل دلالات عكسية سلبية، فهو ليس فصيحًا، ولا يعكس قوله طبيعة أستاذيته وكنهها-كما أشير إلى ذلك آنفًا-إضافة إلى التعبيرين التهكميين (يا موسيقي القرب)، (يا ريكاردوس قلب الأسد)، وهما تعبيران يجسد بهما شاكر حالة ضعف المطروح في غير موضـــعه، فكأنه ريتشارد قلب الأسد، وما يستدعي حضوره من قوة وشجاعة، وهو حضور معكوس بالطبع؛ فهو في موضع سخرية.

يبدو التعبير (بالطبع بالطبع) مؤشرًا بارزًا من مؤشـــرات الســـخرية غيـــر الخفية المصرح بها في النص التي اعتمدها شـــاكر، وهـــو مؤشـــر مهـــم مـــن المؤشرات التي يوظفها الساخر في النص، ومؤشرات السخرية في النص " تتمثل في التعليقات الميتالغوية مثل قائل يقول:" أنا أسخر" أو في عنصر مـــن عناصـــر الترقيم" المزدوجتان" مثلا، أو في بعض الكلمات مثل" طبعًا" كما يعرف كل واحـــد، وهي عناصر مهمة منهجيًا لدراسة آليات السخرية"(٥٣).

البادي أن محمود شاكر يعتمد على هذه المؤشرات فـــي بنـــاء الســـخرية، بوصفها رد فعل مباشر تجاه القضية المطروحة التي لا توافق رأيه ومنهجه.

ولعلها لم تكن ظاهرة مثلما استخدمها شاكر في تعليقه على تأويـــل لـــويس عوض " وردة كالدهان"، قال: " وبالطبع هذا كلام إنسان عاقل جدًا، مـــن صـــنف مدهش جدًا، وسأتولى ترجمة كلامه من طول خبرتي بالترجمة:" دانتي، اقتـــبس من القرآن الكريم، من رسالة الغفران، ربما من غير المصـــادر الإســـلامية، أنـــا لويس عوض أستاذ محنك جدًا. أنا مفرط الذكاء! " الـــوردة الســـماوية"، مـــريم العذراء! في سورة الرحمن "وردة كالدهان"، إنها روزا مستيكا هنا، علمـــي أنـــا واسع، أنا لويس عوض، أدب غزير في "الوردة"، قصص، اطلعـــت أنـــا لـــويس عوض عليها، العصور الوسطى، قصص له ظاهر وباطن، بحث فـــي الإلهيـــات،

التراث الكلاسيكي ليس فيه وردة. أوروبا أخذته من العامل الإسلامي، أنا ذكي، نعم أنا لويس عوض، ترجمات عن إسبانيا وصقلية، لم لا؟ رموز! المعري عنه وردة أيضًا، في سقط الزند، أنا قرأت شعر المعري، لكن وردة أرضية لا سماوية، الوردة السماوية في القرآن، وجدتها أنا وحدي، أنا لويس عوض، لا، أنا اطلعت على تفاسير القرآن، أنا لويس عوض، اجتهادات أدب الوردة عرفها كلها، أنا لويس عوض"(٥٤).

تأكيد نصي ساخر، بمؤشرات بارزة، يمثل تبني محمود شاكر للا منطقية لويس عوض، من خلال إسماع صوته، فهو ليس المتلفظ هنا، وإنما المتلفظ هو المستمع؛ إذ إن " المتحدث في وضع السخرية يقوم بإسماع صوت المتلفظ (والذي قد يتماهى مع المستمع أو مع شخص آخر) مع تقديمه في وضع لا منطقي"(٥٥).

التكرار التعبيري "أنا لويس عوض" مؤشر إلى سخرية لاذعة وتقريع بين وقهر موجه، لا سيما أنه يتموقع ردف القضايا التي لم تبد مقبولة لدى شاكر أو منطقية. وقد استخدم الضمير(أنا) ثلاث عشرة مرة، على لسان لويس عوض، في مواضع النقض واللا منطق،" وتقديم صوت الآخر في موضع لا منطقي ما هو إلا شكل من أشكال الاقصاء والنقد والتقريع"(٥٦).

ومثلما وظف الضمير (أنا لويس عوض) في موضع السخرية، وظفه أيضًا في مواضع التضاد؛ فأردف الضمير (أنا) تعبيرات تؤشر مباشرة إلى سخرية تحمل دلالات عكسية، فهو (ذكي/واسع العلم/ ذكي/ مفرط الذكاء/قرأت شعر المعري/ وجدتها وحدي/ اطلعت على التفاسير). وتموضع هذه التعبيرات يؤصل لسخرية شاكر على لسان لويس.

وتتضافر السخرية أحيانًا عند محمود شاكر بالهجاء الانتقادي، "والهجاء الانتقادي يتوفر على أثر ساخر، لكنه يتسم بسلبية بالغة ويكون مؤشرًا على

الازدراء والاحتقار والاستهزاء القوي، وهي عناصر المقصدية التي يوجهها الكاتب إلى المتلقي، غير أن الهجاء الانتقادي رغم استناده إلى الاستهزاء، فهو يهدف إلى معالجة العيوب بالسخرية منها"(٥٧).

ففي حديثه عن أن البعد بين اللغة اللاتينية المقدسة ولهجتها المنحطة الإيطالية أقل من اللغة العربية المقدسة ولهجتها المنحطة المصرية، من حيث النحو والصرف، فعجب لتمسك المصريين باللغة المقدسة، وأنه ظل يحتفظ بذلك الرأي حتى عاد إلى مصر، قال شاكر:" يعني أن لويس ظل ثلاث سنوات لم يخطر له هذا الأمر ببال!! ما أكذبك أيها الغلام!"(٥٨)

فهو يفترض فيه سوء النية، فهو يطوي السوء للعربية وأهلها، وأنه يصرح بالأمر قبل ذلك وبعده؛ ومن ثم كان هذا الهجاء الانتقادي يهدف إلى التركيز على صفة الكذب من خلال السخرية. وهذا ما جهر به محمود شاكر قائلًا: " كل ذلك أتاحته له صحيفة الأهرام أن يفعله، بما أوتي من صفاقة وغش وكذب وادعاء وتحريف وبلا رادع من عقل أو حياء"(٥٩).

لعل هذا الاتجاه بدا واضحًا في هجائه له على طبيعة قراءة شعر أبي العلاء، قال: " وهو جاهل بشعر أبي العلاء وبالزمن الذي بدأت فيه تهمة الرجل في دينه، وهو فوق ذلك ظنين في عقله، يحسب أن الناس كلهم جهال مثله بلا عقول، مختلط العقل من سمادير الهوى والإدمان، وشرلتان قديم معرق في الرعونة والطيش، وكذاب لا يحسن الكذب، وإن شئت فزد ولا حرج"(٦٠).

ولا شك أن هذا النص يعكس بجلاء طبيعة محمود شاكر في ممارسة الهجاء الانتقادي الممزوج بالعنف اللغوي الذي يترك ألمًا في نفس خصمه، فخلع عليه صفات الجهل ومرض العقل والطيش والرعونة والكذب، ويفتح الباب لمتلقيه أن يضع ما يشاء.

ينوع شاكر في مقصدية السخرية، بين طرح الحكم السـلبي، والاسـتهزاء والتهكم والإضحاك، والعنف اللغوي المتجاوز أحيانًا حدود القضية والموضـوع. وهذا قد لا يحقق مقصدية فاعلة تجاه المطروح أو في نقد الآخر بقدر ما يحقـر منه ذاتيًا ويقلل من شأنه.

المبحث الخامس

رد الفعل الإقناعي

الإقناع بالحجة هو مناط الاهتمام والتركيز في مقالات شاكر؛ فإذا لم تكن الحجج المقدمة مقنعة للمتلقي العام والخاص، مغيرة لفكره ومعتقده فلا قيمة لما عرضه من سخرية واستهزاء من الخصم، فهذا سيكون من باب اللغو.

وإذا كانت الحجة ترد موجهه من خلال المتكلم والمستمع والرسالة، بوصفها بناء استدلاليًا، فتأخذ مناحي متباينة، تجريدًا وتوجيهًا وتقويمًا، كما جعلها طه عبدالرحمن، فقال:" ويدخل الغموض على لفظ الحجة من الجهات التي يدخل منها على لفظ" التواصل"، فقد يحمل هو الآخر على معان ثلاثة: أحدها: الحجة بوصفها بناء استدلاليًا يستقل بنفسه؛ فلنصطلح على ذلك باسم "الحجة المجردة". الثاني: الحجة بوصفها فعلا استدلاليًا يأتي به المتكلم؛ فلنسم هذا المعنى الثاني باسم" الحجة الموجّهة"(بفتح الجيم المشددة)". الثالث: الحجة بوصفها فعلا استدلاليًا يأتي به المتكلم بغرض إفادة المستمع وينهض المستمع بتقويمه؛ فلندع هذا المعن الثالث باسم " الحجة المقومة" (بفتح الواو المشددة)"(٦١)، فإن محمود شاكر عني بأن تكون حجته في إطار الحجة الموجهة التي ينهض المستمع بتقويمها.

ولعل أولى الحجج التي وظفها شاكر بوصفها رد فعل تجاه الخصم حجة الإيهام أو الإيهام بالحجة.

٥-١ الإيهام بالحجة/ الحقيقة الوهمية :

يأتي الإيهام بالحجة في إطار المغالطة الحججية، التي تبدو صحيحة الظاهر معتلة الباطن، يبني عليها أحد المتحاورين قضيته ودعواه؛ ليقتنع به الخاص والعام، فتكون أداة يتخذها الآخر لدحض تلك الحجة وهدمها؛ انطلاقًا من عدم صحتها أو استنادها إلى دليل مقنع.

والإيهام بالحجة أول ما وظفه شاكر في بناء رد فعله تجاه لويس عـوض، فحاول من خلاله دحض حججه، وبناء حجج مقومة، تشرك المستمع أو المتلقـي في الآن ذاته.

ففي قضية تعلم أبي العلاء في صباه في أنطاكية والتقائه بالراهـب، يلقـي محمود شاكر بكل حججه، ويظهر كيف يوهم لويس عوض متابعيه، يقول: " فهو يزعم أن المعري تعلم بأنطاكية وهو صبي، وأنه كان يختلف إلـى مكتبتهـا مـع أسامة بن منقذ، وهذه القضية ذكرها الدكتور طه حسين في كتابه" ذكـرى أبـي العلاء" في شان رحلته إلى أنطاكية، وقال: نعم إن التاريخ لا يوقـف لنـا هـذه الرحلة..... ولا شك أن هذه الرواية إما أن تكون منتحلة وإمـا أن يكـون اسـم أسامة بن منقذ قد وقع فيه خطأ موقع اسم أحد آبائه، فـإن أسـامة ولـد سـنة ٤٨٨هـ، أي بعد موت أبي العلاء بنحو أربعين سنة"(٦٢)

يعرض محمود شاكر النصين على المخاطب؛ ليقف على النص الأصـلي بوصفه الحجة المقابلة الداحضة لما طرحه لويس عوض واستند إليه، وهو كـلام الدكتور طه حسين، الذي نفى رواية التقاء أبي العلاء بأسامة بن منقذ، وهنا يبدو للمتلقي أن لويس عوض يعتمد على جهل المخاطب، فاقتطع من النص الأول ما لا يخدم فكرته، فيؤكد فكرة منفية بإخفاء دليل نفيها.

ويذكر لويس عوض أن أبا العلاء وأسامة بن منقذ قد اختلافـا معًـا إلـى مكتبة، فجعل محمود شاكر ذلك بلية؛ استنادًا إلى ما ذكر الـدكتور طـه حسـين، ليؤكد أن لويس عوض أراد أن يوهم المخاطبين بأنهما صديقان أو قريبـان، ثـم يجعل بلية البلايا أن يستند في زعمه إلى كتب التراث فيقول:" فيمـا روت كتـب القدماء"، قال:" فيأتي فيزعم أنه كان يختلف إلى مكتبتها مع أسامة بن منقذ؛ حتى يوهمك أنهما قريبان أو صديقان، ثم يتمم البلايا بادعاء وتظاهر فيقـول:" فيمـا

روت كتب القدماء" كأنه قد عرف هذه الكتب وكأنه قد زاد على الدكتور طه واطلع على ما لم يطلع عليه"[٦٣].

ولما كان لا يجوز للمعترض أن يستغل الفراغ التدليلي الذي يتركه العارض؛ تهربًا من عبء التدليل، فيزعم صدق رأيه دون دليل، كما قال الراضي:" قد يصل الأمر على أقصاه فيتحايل المعترض ويستغل هذا الفراغ التدليلي ليدعي صدق رأيه هو، بناء على كون العارض لم يفلح في حفظ معروضه، ففي هذا تهرب أيضًا للمعترض من واجبه في التدليل على رأيه، وهي صورة أخرى من صور argumentumad igonoremtion أي الحجاج القائم على استغلال جهل المخاطب"[٦٤]، فإن محمود شاكر استغل هذا الفراغ التدليلي عند لويس عوض، بيد أنه لم يكن استغلالًا فارغًا من الدليل بصدق رأيه المواجه، وإنما أن يسد هذا الفراغ التدليلي، ويكشف هروب الآخر من ذكره أو محاولة الإخفاء.

يقف محمود شاكر على قوله" فيما روت كتب القدماء" فيبين بتتابع زمني رؤية ثمان وعشرين مؤرخًا تجاه تلك القضية أو الدعوى؛ ليؤكد أن القفطي (ت:٦٤٦هـ) هو أول من أشار إلى ذلك، وبينه وبين أبي العلاء المعري مائة وعشرين سنة، فهو أول من روى الخبر دون إسناد إلى شخص أو كتاب، ونقله عنه ثمانية من المؤرخين باختصار في اللفظ.

حاول محمود شاكر أن يدعم بالأدلة التاريخية أن هذا الخبر الذي ذكر القفطي منكر، لا سيما فيما يتعلق بتلقيه بعض العلوم على يد راهب التقى به في اللاذقية، خصوصًا أن المؤرخين المعاصرين له (الثعالبي ت:٤٢٩هـ، الخطيب البغدادي ت:٤٦٣هـ، الباخَرْزِي ت:٤٦٧هـ) لم يذكروا ذلك الخبر ولم يشيروا إليه.

ويحشد شاكر أدلته الاستنباطية ليؤكد دعواه، فيذكر أن الحمــوي الشــامي وهو أعلم بأخبار الشام كان معاصرًا للقفطي المصري، وقد تجاذبا أطراف الحديث عن أبي العلاء، وروى عن القفطي كثيرًا من الاخبار في معجم البلدان لكنــه لــم يورد هذا الخبر.

يطرح محمود شاكر كثيرًا من الأسئلة المحفزة للتفكير، المشاركة للمخاطب في تأييد دعواه، فيقول:" ألم يسمع ياقوت هذا الخبر من القفطي، مع مراجعته له ومذاكرته له في شأن شيخ المعرة؟ ألم يقرأه في كتاب "إنباه الرواة" وقد ذكره في ترجمة القفطي؟ فإذا كان قد سمعه أو قرأه فلم أغفله ولم يــذكره؟ ألأنــه أراد أن يدفع عن شيخ المعرة معرة هذا الخبر (أي عاره وشناره وقبحه)؟ أم لأنه ســأل القفطي عن مخرج الخبر، فاستسقطه وعده قُمامةً تقَمَّها من سُــقاط النــاس (أي أراذلهم وحمقاهم. والقمامة، الكناسة) فطرحه لخبث مخرجه، ثم أنِف أن يذكره في كتابه ويرد عليه إجلالا للقفطي؟ هذه أسئلة يجــب علــى الجــامعي المبتــدئ أن يحضرها بين يديه، ناهيك بأستاذ جامعي، زعموا". (٦٥)

أسئلة تحفيزية لاستثارة عقل المخاطب منطقيًا؛ لتأييد طرحه بشــأن خبــر القفطي المنكر –من وجهة نظره– وكيف أن الحموي المعاصر له لم يورد هــذا؛ ومن ثم يستنبط افتراضات منطقية، من خلال أسئلته التي تؤيــد دعــواه بإنكــار الخبر؛ لعدم وروده عن ياقوت الحموي الذي يجل القفطي، ودارت بينهما تجاذبات عن أخبار شيخ المعرة.

اتخذ محمود شاكر من الحموي الشامي مدخلًا مهمًا لتأييد دعواه، بأن هــذا الخبر المفرد الوارد بشأن تلقي المعري بعض علوم الفلسفة على يد راهب الــدير منكر غير مقبول.

ولإثبات إيهام الحجة عند لويس عوض لم يقف شاكر فقط عند نفي الخبر إثباتًا تاريخيًا، وإنما جعل يحلل الخبر نفسه، مبينًا أن الراهب كان عنده شيء من علوم الفلسفة، (أي، تعلم منها قليلا، ولم يعرفها معرفة حقة)، وأن أبا العلاء سمع منه كلامًا من أوائل كلام الفلسفة (أي مبادئ كلام الفلسفة)؛ ليؤشر إلى أن الراهب لم يكن لديه علوم فلسفية يستقي منها أبو العلاء أو تؤثر فيه.

بل إن محمود شاكر يدحض الخبر بأن ينفي ما ذكر فيه من أن أبا العلاء لما سمع من الراهب بعض الأفكار غيرت في فكره وجعلته يرجع في أول أشعاره ويعدل، فيستشهد بنص لتلميذه أبي زكريا التبريزي، يقول:" ونص الشيخ الإمام أبو زكريا التبريزي(٤٢١-٥٠٢هـ) على مثل ذلك إذ قال:" قرأت عليه كتبًا كثيرة من كتب اللغة وشيئًا من تصانيفه، فرأيته يكره أن يقرأ عليه شعر صباه الملقب بسقط الزند، وكان يغير الكلمة إذا قرئت عليه، ويقول معتذرًا من تأبِّيه وامتناعه من سماع الديوان: مدحت نفسي فيه، فأنا أكره سماعه. وكان يحثني على الاشتغال بغيره من كتبه، كلزوم ما لا يلزم وجامع الأوزان" [٦٦].

اعتذار المعري وفق رواية التبريزي عن مدحه لنفسه لا عن وجود شكوك فكرية، وهو ما جعل محمود شاكر يؤكده بقول المعري نفسه في مقدمة سقط الزند:" أن كان "ربان الحداثة"(أي أوائل الشباب) مائلا في صَغْو القريض (أي ناحية الشعر) ثم يذكر أنه كره شعر الصبا؛" لما فيه من غلو في مدح الآدمي" بألفاظ ربما كانت فيها صفات تحملها صفات الله عز وجل، فهو يبرأ منها ويجعلها مصروفة إلى الله سبحانه وتعالى ثم يستغفر الله مما فعل"[٦٧].

والمعري في مقدمة السقط يؤكد هذا الذي ذكره محمود شاكر وأومأ إليه؛ إذ يقول:" وما وجد لي من غلو علق في الظاهر بآدمي، وكان مما يحتمله صفاتُ الله، عز سلطانه، فهو مصروف إليه، وما صلح لمخلوق سلف من قبل، أو غيرُ،

أو لم يخلق بعد، فإنه ملحق به، وما كان محضًا من المين لا جهة له، فأستقيل الله العثرة فيه" . (٦٨)

هذه استعانة محمود شاكر من مقدمة المعري التي تؤكد أنه يبرأ من مدح الأناسي بصفات تليق بالذات الإلهية ولا تكون إلا لها، ولم يبرأ من شيء آخر، وهو ما يؤيد توجهه ومنحاه في رد الفعل إزاء الإيهام بالحجة التي استخدمها لويس عوض؛ ولذلك أكد أن الذي نقل هذا الخبر المتعلق برفض أبي العلاء لشعر الفلسفي في صباه جاهل لا علاقة له بشعره، قال:" فذلك وحده كاف في الدلالة على جهل صاحب الخبر بشأن المعري وشعره" (٦٩).

لم يوجه محمود شاكر حججه إلى المتلقي الخاص فقط، وإنما أراد المتلقي العام/ الجمهور العام، وهو المهم في عملية التواصل هنا، فليس المهم المتكلم وإنما المستمع أو الجمهور، فهو محور التوجيه والقبول الرفض لما يعرض عليه، ف" السامع أهم من المتكلم الخطيب؛ لأن الهدف من الرسالة التواصلية هو إقناع الآخر ومحاججته برهانيًا وعقليًا عبر مجموعة من المسارات الحجاجية للوصول إلى الحقيقة والحل الراجح، واستكشاف ردود فعل المخاطب تجاه الحجاج"(٧٠).

فمحمود شاكر يعكس رد فعل تجاه لويس عوض، والجمهور يعكس رد فعل تجاه ما يقدمه شاكر من حجج وأدلة.

٢-٥ حجة التجهيل :

وهي جد بارزة في مقالات محمود شاكر، ويتكئ عليها في إبراز رد فعله تجاه ما يطرحه لويس عوض في قضية أبي العلاء وغيرها. وحجة التجهيل تعتمد على إبراز جهل الخصم في كثير من المعلومات والأدلة التي يقدمها لتأييد طرحه، فيقف الخصم منها موقف التصحيح أو النقد أو الهدم، من خلال إبراز جهل الآخر فيما يتحدث فيه؛ حتى يبدو للمتلقي أنه لا دراية له بما يطرح؛ ومن ثم ينزل منزل

الضعف أمام مؤيديه. وربما قد يكون هذا ما يريده الجمهور إزاء القضايا الخلافية الحوارية، التي تنتهي بإفحام أحدهما.

وقد بدا التجهيل المعنوي من محمود شاكر للويس عوض جليًا، ونص على ذلك صراحة، ففي تفسير لويس عوض لما جاء في فردوس دانتي من أنه اعتمد على المصدر الإسلامي القرآن الكريم وكذلك رسالة الغفران، ومن ثم يصور الوردة السماوية (وهي مريم العذراء، روزا مستيكا) رابطًا إياها بقوله تعالى: " فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان"، ثم يستعين ببيت لأبي العلاء وردت فيه الوردة.

يعترض محمود شاكر مبرزًا خطأ القراء والتأويل؛ بطرح للأسئلة بلغة حادة عنيفة، قال:" أيٌّ خبل داخل جثمان هذا الرجل حين استولى على جميع أعضائه؟ ما الوردة السماوية (مريم العذراء، روزا مستيكا) وما "وردة كالدهان"؟ أي مجنون يطيق أن يتكلم بهذا في كتاب يقرؤه الملايين من البشر، فيأتي بهذا التأليف فيلعب بألفاظه، علانية بلا حياء ولا خجل، ويدعي أن قرأ تفاسير" وردة كالدهان". أي خيال من سمادير الإدمان تخيل له أن السماء إذا انشقت وانتثرت نجومها يوم القيامة صارت كالوردة التي تشم بالأنف في شكلها؟"(٧١).

لا شك أن محمود شاكر أدرى من لويس عوض بدقائق اللغة وتأويلاتها؛ فكانت الأسئلة المنكرة المقرعة لتأويل لويس عوض، ومن ثم إبراز خطأ التأويل جهلا-وهو الراجح-أو عمدًا.

يقف محمود شاكر على ذلك المعنى مبينًا توجهه الدلالي الصحيح، يقول:" ومعنى ذلك بلا إطالة، هو أن الله سبحانه وتعالى ينذر عباده ويخدمهم بما سيكون يوم القيامة من الهول والفزع الأكبر:" يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات" فتنكدر النجوم، وتنتثر الكواكب، وتنشق السماء وتنفطر، ويتبدل لونها حمرة

صافية مشرقة اللهب يومئذ، فذلك قول الله سبحانه في صفة يوم القيامة:" فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان....". فمعنى "وردة"، أي حمراء، وهي صفة. أما" الوردة" تشم، فهذا اسم لا صفة. يقال للمذكر:" أسد ورد"، و" فرس ورد"، أي أحمر اللون، وللأنثى " فرس وردة"، أي حمراء، فلفظ " وردة" مشترك بين الاسم والصفة" (٧٢).

"الوردة" في الآية كما تشير التفاسير وذكره محمود شاكر تعني الاحمرار لا الوردة التي تشم، قال القرطبي:" وقال سعيد بن جبير وقتادة: فكانت حمراء. وقيل: المعنى تصير في حمرة الورد وجريان الدهن، أي تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم، وتصير مثل الدهن لرقتها وذوبانها. وقيل الدهان: الجلد الأحمر الصرف، ذكره أبو عبيدة والفراء، أي: تصير السماء حمراء كالأديم لشدة النار" (٧٣).

على الرغم من أن لويس عوض يشير إلى أنه قرأ التفاسير فإنه لم يعرض هذا المعنى الذي أظهر به محمود شاكر خطأ تأويله وجهله بالتفسير الذي يزعم أنه قرأه؛ ومن ثم لا مفر أن يتراجع لويس عوض عن تأويله لذلك.

ولعل ذلك كان جليًا في موقفه من وقوفه عند بيت لأبي العلاء فكتبه:

صَلِيَتْ جمرةَ الهجيرِ نهارًا ثم باتت تَغُضُ بالصُلبانِ

يوضح محمود شاكر أن بيت المعري في وصف الإبل وما لاقته نهارًا من الهجير والظمأ، وما رعت ليلًا من الصِلِّيَان الذي هو نبت تأكله الإبل من حبها له، فعدل لويس عن الصِلِّيان إلى الصُلبان جهلًا وتعمدًا، قال:" وتبلغ به ثخانة وجهه، أن يعود مرة أخرى إلى قصيدة سقط الزند، التي أخذ منها بيتًا من خلال أبيات يذكر فيها شيخ المعرة الإبل، ويصف ما لاقته نهارًا في البداء من هجير وظمأ، وما رعت ليلًا من صِلّيان(وهو نبت له جذور ضخمة في الأرض، تجتثها الإبل

بأفواهها فتأكلها من شدة حيها لها، فإذا كانت رطبة أساغتها، وإذا كانت يابسة عصت بها، أي شرقت) فلم ير هذا الذي خَبِل بما خُبِل به إلا " الصُّلبان" جمع "صليب" " تغص بها حلب""(٧٤)

التجهيل هنا له دور فاعل في تأكيد دعوى محمود شاكر ورد فعله إزاء لويس عوض، إذ إن العدول عن الصِلِّيان إلى الصلبان سواء أكان جهلًا أم تعمدًا يجذب المتلقي العام إلى دعوى محمود شاكر ويقر فيما يدعو إليه من سوء طوية لويس عوض، وإن اعتذر عما ذكره بعد أن نُبه إليه، فقال:" إن الصِلِّيان بالياء، وهو نوع من الشوك ترعاه الإبل، وأن البيت السابق له هو المتصل بحلب...وأنه قد روجع على الأصل، ولزم التنبيه"(٧٥) ص٨٤.بيد أن محمود شاكر يؤكد موقفه تجاهه؛ إذ إن المقالة تحت البيتين في إطار غلبة نصارى الروم على أهل الإسلام، فهو بين الجهل والتعمد.

وفي الإطار نفسه يعتمد محمود شاكر على تجهيل لويس عوض أيضًا في " وردة كالدهان" من خلال اعتماده على بيت أبي العلاء الذي ذكر فيه هذا التعبير؛ ليدعم رأيه في تأويل "روزا مستيكا"، إذ استشهد بقوله:

فإذا الأرضُ، وهي غبراءُ، صارت   من دمِّ الطعنِ وردةً كالدِّهان

قال:" وأبو العلاء يقول: إن الطعن والقتل استحر، فسالت الدماء حتى غشَّت الأرض، فصارت أرض الميدان بالدماء حمراء كالأديم الأحمر المشرق، فيأتي المكسورة رقبة بلاغته، فيجعل الصفة هنا اسمًا، وهو الوردة المشمومة، ويزيد فيقول كلامًا لا يفهم:" والمعري نفسه ينسج على صورة الوردة في سقط الزند، ويجعلها في الأرض، لا في السماء"، يعني كما في سورة" الرحمن"، وكما في دانتي الذي أخذ عنهما " الوردة السماوية"(روزا مستيكا)!! يا مغيث! يا مغيث! لقد

فاضت الغثاثة، و" بلغ السيل الزبى، وجاوز الحزامُ الطُبيين"، ومن يصدق أن هذا الإنسان الحي يمكن أن يقرأ شعرًا ويفهمهن ولو كان بالعامية"(٧٦).

يستنكر محمود شاكر تحليل تأويل لويس لقول المعري " وردة كالدهان" بأنها ورد الأرض في مقابل وردة السماء؛ إذ إنه أراد بها احمرار الأرض كأديم المشرق. ثم يستدعي المثل العربي" بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين"، مشيرًا به إلى تجاوز الحد من قبل لويس عوض، إذ إنه تجاوز في تفسير "وردة كالدهان" قرآنا وشعرًا.

والمثل يضرب لإقناع المتلقي بما يتضمنه من قياس الحال؛ إذ إن لويس بلغ بالأمر غاية من الصعوبة، كما بلغ السيل الحد في الزُبية، "والزبية: حفيرة تحفر في نَشر من الأرض، وتغطى، ويجعل عليها طُعم، فيراه السبع من بعيد، فيأتيه، فإذا استوى عليها انقض غطاؤها، فيهوي فيها، فإذا بلغ السيل فقد بالغ"(٧٧). وكما جاوز الحزام الطبيين أيضًا، أي وصل بالأمر إلى منتهاه وشدته، فهو مثل أيضا " يضرب عند بلوغ الشدة"(٧٨).

وفي إطار حجة التجهيل يظهر محمود شاكر قدرته اللغوية في إظهار جهل الآخر ودحض حجته؛ إذ إن لويس عوض لما ذكر أن المعري تعلم في اللاذقية وأنطاكية ولقي راهب دير الفاروس، فقال:" وقد تعلم المعري في اللاذقية كما تعلم في أنطاكية فيما روى القفطي والذهبي أنه نزل بدير فيها" ولقي بهذا الدير راهبًا قد درس الفلسفة وعلوم الأوائل" بلغة طه حسين أو باختصار أخذ عنه اليونانيات، فما علوم الأوائل هذه التي كانت تقرأ في الأديرة تحت حكم الروم إلا آداب اليونان وفلسفتهم في لغتها الأصلية"(٧٩). فإن محمود شاكر وظف قدرته اللغوية في شرح ألفاظ القفطي لغويًا؛ ليظهر من خلالها خطأ لويس عوض فيما ذكره في تعلم لويس عوض في اللاذقية وتلقيه العلوم على يد راهب الفاروس، من خلال لفظي

القفطي " اجتاز" و"نزل"، قال: " فهذا التالف يذكر أن أبا العلاء لما كبر وخرج من معرة النعمان قصد طرابلس، "فاجتاز باللاذقية، ونزل دير الفاروس" فهذه ألفاظ قليلة واضحة، من أخذها بغير حقها غمضت عليه وأوقعته في الدهاريس (وهي الدواهي)"(٨٠).

حل إشكالية الفهم اللغوي عمدة المنطق عند شاكر في بناء رد فعله، وتأييد رأيه تجاه لويس عوض، لا سيما أن لويس عوض قد لا يقف على الأرض اللغوية نفسها التي يقف عليها محمود شاكر، فجعل شاكر يفض المعنى اللغوي للفظين المحركين للخلاف، لينتهي إلى أن الاجتياز هو المرور بالمكان وجعله خلفك، دون التوقف، قال بعد عرضه للمعنى اللغوي عرضًا مفصلًا:" فإذا زدت في بناء الكلمة فقلت: " خرجت من داري فاجتزت بدار فلان"، فمعنى ذلك أنك مررت بها وخلفتها وراء غير متوقف، ولا يكون معناها أبدًا أنك نزلت داره فأقمت فيها؛ لأنه مخالف لاشتقاق اللغة، فإذا جئت إلى مسافر طويل الرحلة فقلت:" اجتاز بالبلدة"، فأنت بالخيار في استعمالها، أن تريد: مر بها وتخطاها غير متوقف، أو تريد: مر بها ثم توقف ساعة أو ساعتين، أو ليلة أو ليلتين، فتقول:" اجتاز بالبلدة فنزل دار فلان". ولكن هذه الزيادة في معنى اجتاز لا تأتي من أصل الاشتقاق، وهي أن المسافر الطويل الرحلة، لابد له من وقعَة ونزول عن راحلته؛ ليستجم هو، وليريح راحلته"(٨١).

يستنبط محمود شاكر أن النزول من خلال الاجتياز هو نزول راحة واستجمام لا إقامة وبقاء، وهو ما يخالف ما ذكره لويس عوض من أن شيخ المعري تعلم باللاذقية، والتعلم يحتاج إلى مكث وإقامة، لا مجرد اجتياز، يدور بين ساعات أو ليال.

والأمر نفسه يتعلق بالفعل نزل المرتبط براهب دير الفاروس؛ إذ إن نزوله بالدير لا يعني الإقامة به وتلقي العلم، وإنما أيضًا للراحة، قال: " أما قوله:" نزل بدير الفاروس"، فمعنى" نزل بالمكان"، هو أنه أقام به قليلًا ثم رحل، فإن أصل" النزول" في لغة العرب، هو الهبوط والانحدار من علو إلى سفل، تقول:" نزل الراكب عن دابته، و" نزل المطر"، و" نول في بئر"، وأمثال ذلك. ولما كان المسافر البعيد الشقة أكثر ما يكون راكبًا، قالوا له إذا مر بمكان، فأراد أن يريح دابته ويتزود لرحيله، فحط به ساعة أو ليلة أو ثلاث ليال على الأكثر:" نزل بالمكان"، أي نزل عن دابته ليريحها، ثم يقيم للراحة قليلًا ثم يرتحل، وذلك الموضع الذي نزل به هو" المنزل""(٨٢).

الفعلان مشكلان لجوهر نقض دعوى الآخر وإبراز جهله، أو عدم حمله للمعنى اللغوي في المسار الصحيح الذي يعكسه. ولم يصرح شاكر بالجهل هنا، وإنما ضمنه ما قدمه وفصله من شرح لغوي للفعلين؛ ليصل إلى النتيجة المبتغاة، وهي أن شيخ المعرة لم يقم باللاذقية، ولم يتلق علوم الفلسفة من دير راهب الفاروس، وإن كان قد سمع منه فهي بدائيات لعلم الفلسفة.

ويورد شاكر اختصار ابن كثير لخبر المعري الذي يؤكد استنباطه، وأنه التقى به ليلة واحدة، قال:" ويقال إنه اجتمع براهب في بعض الصوامع، في مجيئه من يعض السواحل، أواه الليل عنده، فشككه في دين الإسلام" فاستخرج من لفظ القفطي أنه نزل عند الراهب ليلة واحدة! فهذا اختصار فاهم ومبين أيضًا، مع دقة في الاستنباط"(٨٣).

ولا يكتفي بذلك، وإنما يحكم أدلته؛ ليثبت تاريخيًا أن الدير لم يكن المكان المناسب للتعليم أو الإقامة للمعري، إذ إن الأديرة كانت أمكنة للهو والأخلاق السيئة، قال بعد استعراضه لما يحدث فيها:" فهذه حالة سيئة جدًا، من ناحية

الاخلاق على الأقل، كانت عليها الأديرة في القرن الرابع وما بعده؛ لأنهـا كانـت مأوى أهل البطالة والعبث والمجون والخمر، وكان لرهبانها أخبـار لا يسـتحب ذكرها، وعجائب من اللهو لا تنقضي"(٨٤).

ولم تختلف اللاذقية التي كانت تقبع تحت حكم الروم عما عليه الأديرة، ومن ثم من غير المنطقي أن يترك أهل الشاب الأعمى وهم شيوخ المعـرة وقضـاتها ابنهم؛ ليتعلم أو يقيم هناك.

وهذا سؤال محوري طرحه محمود شاكر؛ ليؤكد منطقه في تحليـل الخبـر، قال:" هذا عجب، أن يبلغ أهل الفتى الأعمى ذلك المبلغ بأحوال ثغورهم، فيتركـوا فتاهم في أيدي هؤلاء يعلمونه ويثقفونه؟"(٨٥).

وفي إطار السؤال أراد محمود شاكر أن يجهز على خصمه، فلا يجد مـدخلًا للحوار أو الرد، فطرح ثبة من الأسئلة الأينية التي تأتي أداة فاعلة تهـدم زعـم لويس عوض ومن روى عنهم، قال:" أين ما كان من ترجمة الكتب من قبل عهـد المأمون، إلى أن كان أبو العلاء؟ وهي مئات الكتب التي يكفي أيسر النظـر فـي فهرس ابن النديم، حتى تعرف كثرتها، لا بل أين ما كتبه مثل الكندي، فيلسـوف العرب وابن ملوكها(١٨٥-٢٥٢هـ) قبل أن يولد أبو العلاء المعري بـأكثر مـن قرن كامل؟ وأين ما كتبه الفارابي" المعلم الثاني"، ضريع أرسطو(٢٥٧-٣٣٩هـ) وهو قريب العهد والدار من أبي العلاء، وكان آخر أمره مقيمًا بحلب مـع سـيف الدولة وصاحبه المتنبي؟ وأين ما كتبه إخوان الصفا، الذين اشتهر أمر رسـائلهم قبل أن يولد أبو العلاء بزمان؟ بل أين ما كتبه من هو أضل ضلالًا من كل هؤلاء، كابن الراوندي وأشباهه منذ قديم؟ وأين الزنادقة القدماء من شعراء وكتاب؟ أترى معرة النعمان لم يدخلها كتاب واحد من هذه الكتب، ولا قرأه قارئ واحد، ولا ضل به ضال، إلى أن ولد أبو العلاء، ثم كبر ووصل إلى سن الطلب، وطمحت نفسـه

إلى الاستكثار من ذلك؟ كما في خبر الراهب؟ أتراه إلى أن بلغ سن الطلب، لم يسمع بخبر ولا شعر، ولا قرئ له كتاب، فيه زندقة أو ضلالة ليس عنده ما يدفعها به، حتى يحتاج إلى رحلة في صباه إلى اللاذقية ودير الفاروس، فيجد هناك راهبًا شاجيًا بشيء من علوم الأوائل فيضلله؟ أهذا كلام معقول؟"(٨٦).

أسئلة إشكالية منظمة تاريخية، تتضمن منحى إقصائيًا للآخر، فهي لا تنفتح على تعدد إجابات فتبدو مغلقة مدهشة للآخر، تحمل تعارضات بين افتراض الخصم وواقع السائل، الذي يريد أن يستلبه من خصمه لويس عوض.

إن محمود شاكر يريد أن يُمكِّن الأسئلة في أذهان المخاطبين والخصم في الآن ذاته، بتتبع علمي منظم يقوي به صحة دعواه، ويجهز على لويس عوض، فيستفهم عن الكتب الفلسفية بتنوع مشاربها ومظانها (الكندي والفارابي وإخوان الصفا وابن الراوندي) ابتداء بما قبل مولد أبي العلاء بقرن حتى وفاته، وموقعها منه وكيف أن كتابًا واحدًا لم يقرأه ولم يؤثر عليه، فيغير من فكره الديني ومعتقده.

يستثير محمود شاكر خصمه ومخاطبيه بهذه الأسئلة التحفيزية، المحركة للفكر النقدي والتطابق الواقعي مع الخبر الذي اعتمده لويس عوض ونفاه هو، ولذلك ارتأى أن هذا الطرح الاستفهامي كفيل وحده برد دعوى لويس ونقضها، قال:" وقد اكتفيت بهذا التساؤل؛ لأن أدنى معرفة أو بصيرة توجب على المرء أن يقطع ببطلان هذا خبر هذا الراهب، من هذا الوجه وحده، دون سواه من الوجوه التي درستها"(٨٧).

إثبات دعوى محمود شاكر بنفي زعم لويس عوض بتعلم المعري على يد الراهب بدير الفاروس، وتلقيه العلم في اللاذقية، محور ركيز يبني عليه كل ما قاله شاكر في مقالاته، لاسيما حين يتحدث عن التبشير.

تبدو حجة التجهيل محور توجيه محمود شاكر في خطاب رد الفعل، فساق كل الحجج والأدلة في طياتها؛ ليثبت عدم تمكن لويس عوض مما عرض.

٣-٥ الصورة وبناء الإقناع :

توظف الصورة البلاغية في الخطاب بوصفها أداة من الأدوات الإقناعية التي يستعين بها المخاطب؛ للإقناع بدعواه، إذ لا يحقق التعبير النمطي ما قد يحقق التعبير المجازي؛ بما يحمله من بعد إقناعي، ف" الحجة الناجمة عن التشبيه والاستعارة تحديدًا تظهر فعاليتها الحجاجية في أنها تمثل درجة أعلى في الإقناع من درجة المعنى الحقيقي، الذي تسد مسده، إذ بالإمكان أن نترقى بها في الحجاج"[٨٨] نتيجة التناسب والتداخل والنقل بين أطرافه، بين ما هو معلوم قار في الأذهان، وجديد مستجلب مجمع عليه.

ولعل البناء الاستعاري بما يحمله من شحنة تأثيرية إقناعية سمة بارزة عند محمود شاكر خصوصًا فيما هو علق بالاستهجان والإنكار للمطروح من لويس عوض.

قال واصفًا ما يعرضه لويس عوض:" صب الغثاثة على الورق"، و" أخاطب من صب عليهم هذا الوباء المحرق"؛ ليقر في ذهن المخاطب طبيعة ما يلقيه ويتوجه به إليهم، من خلال التعبيرين (الغثاثة/ الوباء المحرق)، التعبيران يمنحان بعدًا تهديدًا للمخاطب؛ إذ إن ما يلقى عليهم سيقضي عليه، فهو وباء قد لا يكون منه برء، بما يتضمنه من فساد.

التعبيران الاستعاريان قد يغيران في ذهن المخاطب، فيعدل عن فكره ومعتقده، ويتركان أثرًا قد لا يتركه التعبير التقليدي المباشر الذي يحمل التحذير. ووضوح وجه الشبه في التعبيرين يمكن لبعديهما الإقناعيين للمخاطب؛ إذ " إن البعد الحجاجي للاستعارة يقتضي أن يكون وجه الشبه جليًا بنفسه أو معروفًا بين

سائر الأقوام، وإلا أخرج الاستعارة عن كونها استعارة ودخلت في باب الغموض والإلغاز. فالأساس في الاستعارة الحجاجية هو الوضوح الذي لا يتحقق إلا إذا كان وجه الشبه بينًا بين المستعار منه والمستعار له"[٨٩].

ولذلك يؤكد محمود شاكر هذا التوجه الذي يريد أن يجعله مركوزًا في ذهن المخاطب بامتداد لهذين التعبيرين، بقوله " وضع جزءًا من كلام الدكتور طه بين ضبابتين من الغثاثة"[٩٠]، فهو أفسده وعماه على المخاطب الذي يحار في الوصل إلى مقصده منه، وكأن هنالك تعمدًا في ذلك.

ويبدو أن هذا التعبير مثل بؤرة توجيه لفكر المخاطب، فيلح عليه، قال:" ليسوق الخبر في غبار من ركاكة التعبير والتصور"[٩١]، فهو يؤكد ضبابية السياق الذي يلقي فيه كلامه على المخاطب، الذي لا يجد مندوحة في فهمه.

هذه التعمية جعلت محمود شاكر يؤشر إلى مقصديته مما يقدم، بتعبير استعاري واضح، قال:" اتخذ شيخ المعرة رسالة الغفران أداة لنفث سمومه في صحيفة الأهرام"[٩٢] فهو يجمع بينه وبين الثعبان وما ينفثه من سموم مميتة، فوجوده ضرر وآثاره موت. وقد اعتمد شاكر في بنائه الاستعاري على القيمة المتعارف عليها والمجمع في السياق الاجتماعي للمشبه به/الثعبان، فهو أكثر شهرة، إذ " الفاعلية الحجاجية للاستعارة تأتي من كون الجامع بين طرفيها يكتسي قيمة من اعتماده على العرف والعادة وسنن الناس وتقاليدها في إدراك الواقع والتعبير عنه". [٩٣]

خطورة الثعبان تدفع إلى تجافيه ومجابهته، وذلك لا يكون إلا بالتأمين المعلن الدقيق، وملء الفراغات السانحة لولوجه ونفث سمه، وهذا ما يرنو إليه محمود شاكر من خلال الربط بينهما، تقوية أدوات الدفاع ضده حتى لا ينفث سمومه، أو يتمكن من الوصول إلى غنيمته، وهي تدمير الثقافة العربية

الإسلامية. وهو ما يصرح به قائلًا بالتعبير نفسه:" لا يزال يدير المسرح الذي ينفث فيه الخطر من جميع نواحيه على يده وعلى يد شيعته"(٩٤).

خلق المعنى الجديد هو جوهر الاستعارة وفاعليتها في الإقناع وإشراك المتلقي في إنتاجه، وإيجاد الصلات بين الطرفين، إذ " الاستعارة لا تؤدي نفس المعنى الذي تؤديه العبارة الحرفية، ولا تعتبر المعنى الجديد مجرد طريقة في التقديم أو وجهًا من وجوه الدلالة، وإنما هي تخلق لمعنى جديد، ناتج عن العلاقة المتفاعلة بين الطرفين"(٩٥).

التفاعل بين الطرفين أو التماهي (لويس/ الثعبان) هو مرمى شاكر الحقيقي في الوصول برؤيته إلى المخاطب الخاص والعام؛ ولذلك يؤكد ذلك من خلال تعبير استعاري ساخر، قال:" فإن الدكتور لويس عوض ظل ينزل بنا تلك الأنغام بلا رحمة وبلا تحنن على البائسين الضارعين قراء صحيفة الأهرام"(٩٦).

يجعل محمود شاكر ما يلقيه لويس عوض أنغامًا تشنف آذان المخاطبين، من روعتها، حتى إنه لا يراعي مستمعيه/القراء الذي ينتظرونها بلهفة، بيد أن السياق يفرض على هذا التعبير أن يأخذ المنحى الساخر، إذ إن السياق لا يمنح هذا المعنى، المبني على المشابهة بين طرفي الاستعارة (القول الملقى/ النغمات)، فهو لا يتوافق مع واقع لويس عوض، ومن ثم يدرك المخاطب مباشرة أن ذلك التعبير يحمل معنى عكسيًا.

ولما أراد محمود شاكر أن يثبت أن لويس عوض لا علاقة له بالعربية ولغتها وتحليلها، يوظف التعبير الاستعاري الذي ألح على تكراره في مواضع شتى، فقال:" إذا أضفنا إلى ذلك أن إحساسه باللغة (أي، إحساس لويس عوض) ضعيف بالفطرة (غريبة!! هذا صحيح) علمنا كيف تأتَّى له أن كسر رقبة البلاغة (وهل في ذلك شك يزول)"، وقال:" والله أعلم بترجمتك المكسورة رقبة بلاغتها"،

وقال:" ولا تقتصر على هذا، فنجد سلطان بلاغتك المكسورة الرقبة على لغة الطليان والعرب في آن واحد، وفي قَرَن واحد، أي حبل واحد، وكيف كان ذلك؟" ، وقال:" ثم تأتي الطامة الكبرى، فلا يكاد يرى القرآن العظيم إلا مقرونًا بترجمته إلى اللغة العامية، كما ترجم الإنجيل إلى اللغات الحديثة، وهي عامية اللاتينية، وإلا مقرونًا بكسر رقبة البلاغة وكسر عمود الشعر" ، وقال:" يقول بعد الذكاء المفرط، والشروح النفيسة، والمقارنات الخارقة للعادة، والفيلولوجيا المدهشة (أي فقه اللغة)، ما نصه أيها السادة، واستعينوا بالله، واحملوا معي رقبة بلاغته المكسورة، وأمري وأمركم إلى الله"(٩٧).

جلي أن التعبير الاستعاري هنا ارتكازي عند محمود شاكر؛ إذ ورد في مواضع متباينة، موجه إلى المخاطب العام، يمنحه بعدًا إقراريًا لما يقوم به لويس عوض تجاه البنية اللغوية والتحليلية، التي تنتهي به إلى القضاء عليها، سواء أكان ذلك عمدًا بأن كسر رقبة البلاغة أم خطأ وجهلا فكُسرت رقبتها أيضًا.

يؤشر الكسر هنا إلى موت محقق للبلاغة على يد لويس عوض، ليكون تنبيهًا للمخاطَب لما يمارسه؛ إذ إن جبرها لن يعود، ليسرب بهذا التعبير إلى الذهن فداحة مسعى لويس عوض وتوجهه على مستوى الرؤية والتحليل والبناء.

ولعل التعبير الاستعاري المحوري الذي يشكل بؤرة رد فعل تجاه دعوى لويس عوض بدا في وصفه للخبر الذي اعتمده في أن المعري تعلم على يد راهب، قال:" فهذا أستاذ جامعي يتبجح بذكر "أسلم منهج"، ثم لا يكون من فعله إلا أن يأخذ خبرًا لقيطًا وقع عليه عرضًا، بلا قراءة، وبادعاء غث للقراءة، في كتاب ألفه صاحبه صغيرًا منذ أكثر من خمسين سنة". (٩٨)

اتكاء على إنتاج معرفة جديدة من قيمة مجمع عليها عرفًا، بتفاعل بين المستعار منه والمستعار له، يوظف شاكر تعبيره الاستعاري، ليكون أداة فاعلة في

رد فعل منطقي إزاء دعوى لويس عوض، فيجعل الخبر لقيطًا، بلا أب ولا أم، أو مشردًا لا راعي له، ومن لا يعرف أبوه وأمه كيف ينسب أو يعرف؟ سؤال ضمني يتولد عن التعبير الاستعاري ليحرك ذهن المخَاطب منطقيًا إزاء صحة الخبر، وهو ما يكسبه ردًا إقناعًا بل اقتناعًا، لا سيما أن هذا الخبر لم يسند إلى أحد رواية ونقلًا.

وإذا كان التشبيه لا يقف متوازيًا مع الاستعارة في إنتاج عقلي لمعرفة جديدة، بإشراك المخاطب من خلال مجالين مختلفين متفاعلين، لوجود الأداة الفاصلة بين الطرفين، إذ " إن إدراك التشابه بين الأشياء المتباينة، يتم عبر مسارين: مسار طويل أقل إمتاعًا، ولا يتحصل منه نوع من المعرفة، ومسار قصير ممتع ويعلم، ويتحصل منه نوع من المعرفة. فالمسار الأول خاص بالتشبيه، والمسار الثاني خاص بالاستعارة"[٩٩]، فإن محمود شاكر وظفه أيضًا ليدافع به عن دعواه، أو يقلل من شأن الآخر في عرض دعواه.

ففي تفسيره للغة العرب وكتاب الله عز وجل يقول شاكر:" فينطلق يخبط خبطًا شنيعًا بسخف لا يدري أحد من أين جاء به، وهو في خلال ذلك يرسل جملًا مضطربة كأنها عربدة مخمور، بلا رعاية لحق ثمانمئة مليون من البشر، وبلا حذر من أن يهيج أحدًا إلى ما لا تحمد عقباه؟"[١٠٠].

يرسل التشبيه هنا ليس من باب إيجاد المشابه فقط بين المشبه/ لويس والمشبه به/عربدة المخمور، وإنما ليستل منه منحى منطقيًا، يُقر به اضطراب قول لويس عوض، فقوله كأنها عربدة مخمور، أي أنه يهذي بما لا يدري ويعرف؛ فكل مخمور لا يأبه لما يأتي به. قد يبدو وجه الشبه جليًا، بيد أن الهدف الحقيقي هو أن يتحقق التشابه بين الطرفين في ذهن المخَاطب.

ويوظف محمود شاكر التشبيه في الإطار نفسه ليثبت الإيهام الذي يقوم بـه لويس، قال:" وهو في خلال ذلك يعلو ويهبط، ويجري يَمنة ويركض يَسرة، وينشر ثوبًا أزرق، ثم يطويه، فينشر آخر أبيض وأحمر وأخضر، ويوقد نورًا ثم يطفئه ثم ينيره، كأنه ساحر عبقري، حتى إذا انتهى إلى آخر المقالة الرابعة تلاعب وصرخ وبعثر، وأخفت ضوءًا وأشعل آخر، ليوهمك أنه عمد إلى تاريخ شيخ المعرة، صاحب رسالة الغفران فنفضه نفضًا"[١٠١].

إنه ساحر عبقري (لويس/ساحر)؛ ومن ثم يأتي بما لم يأت به أحد، فكل ساحر يأتي بالأعاجيب غير المتخيلة والمدركة. انطلاقًا من المعطى ووصلًا إلى النتيجة. " وهو ما من شأنه أن يزيد الملفوظ في عبوره من الحجة إلى النتيجة متانة وتماسكًا|"[١٠٢]. تسلسل منطقي يبني عليه شاكر تصوره من خلال التشبيه لما يقوم به لويس عوض، فهي الأعاجيب، التي مهد لها، بالألعاب السحرية التي مارسها أو هكذا تبدو من نشر وطي وإنارة وإطفاء؛ ليعمي على المتلقي، فلا يدرك الحقيقة على ما هي عليه.

هذا التشبيه يترك أثره في المتلقي المصاحب والملتقي المنكر أيضًا؛ فهذا التعبير قد يخلق حيزًا جديًا في ذهنه، إذ إنه "من زاوية نظر حجاجية راجعة إلى أصل واحد وهو أنه يعدل عن (ب) التي هي معلومة جديدة إلى (أ) التي هي معلومة قديمة، إذا كانت(ب) تمثل إجمالًا حكمًا هو موضوع اعتراض بطريقة أو بأخرى، أو هو يقدر له أن يكون كذلك، كالحكم على شخص بأنه بليد أو الحكم عليه بأنه شجاع أو كريم وكانت(أ) محل إجماع في عالم معتقدات المخاطبين بها، وعلى هذا تكون (أ) تثبيتًا لدعاوى بلادته أو شجاعته أو كرمه". [١٠٣]

فإذا اعترض معترض أو أنكر منكر أن لويس عوض لا يتحايل ويأتي بالحقائق ولا يأتي بالأعاجيب، فإنه لا يستطيع أن ينكر أن الساحر لا يأتي

بالحقائق، ويأتي بالأعاجيب التي تبهر الناس وتخدعهم، ومن ثم يأتي التشبيه تثبيتًا للدعوى، ودحضًا للإنكار.

وهذا ما أكده محمود شاكر أيضًا بتعبيره عن لويس عوض وفخره بذلك المنكر عن شيخ المعرة، قال:" ليس حسنًا أيضًا، بل قبيحًا أن ينتفش بالتِّيه كاتب يواجه أعين الناس بما يكتب، فيخرج عليهم كأنه بطل باذخ عليه أبهة الظافر الميمون الطائر، ليراه الماس في كلامه راكبًا حصانًا أشهب"(١٠٤).

التشبيه ينطلق من المعطى (أنه بطل) إلى النتيجة (حقق فتحًا كبيرًا)، ومن ثم لا يستطيع أحد أن ينكر؛ إذ كل بطل باذخ محقق للأمجاد والفتوحات. والتشبيه هنا يحقق عكس المعنى؛ فالسياق يفرض ذاك ويقره، فشاكر يستخدم التشبيه هنا سخرية واستهزاء من أنه أتى بما لم يأت به الأوائل كما قال المعري، فهو تشبيه عكسي تثبيتي لدعوى شاكر، فهو ليس بطلًا ولا عليه أبهة الطائر الميمون.

ويبدو التشبيه محوريًا عند محمود شاكر في نفي تعلم المعري في اللاذقية وحلب وكيف كان يحظى برعاية والديه، قال:" ثم عن أبيه وأمه اللذين كانا يحوطان ضَرَارته وعجزه، فيرعيانه ويكفلانه، ويقومان بكل أمره؛ حدبًا عليه وإشفاقًا، لما أصاب صغيرهما من الضُّر والعمى والبلاء، فينتزعه من هذا كله بلا عقل، وبلا تدبر، وبلا إنسانية، وبلا شعور، ليعامله في مقاله معاملة المقاطيع واللقطاء من عميان السيد البدوي وسانت تريزا"(١٠٥).

(معاملة المعري/ معاملة المقاطيع واللقطاء)، يستحضر محمود شاكر بالتشبيه حالة محط نظر المجتمع، وفق سياق خاص، تدور مع اللقطاء والمقاطيع بلا أهل ولا مأوى، ومن ثم قد يتبادر منهم ما لا يتبادر من غيرهم، ويُتعامل معهم مثلما لا يُتعامل مع غيرهم، فهي حالة خاصة. تشبيه تعامل لويس مع أبي العلاء

المعري بهؤلاء، يقر كأنه بلا أهل ولا رعاية، وينفي محمود شاكر ذلك ابتداء بما مهد له من رعاية والديه له، فيبدي ما وقع لويس فيه من خطأ.

يأتي التشبيه إثباتًا لدعوى محمود شاكر بأن المعري لم يكن متروكًا من قبل والديه؛ حتى يقيم في اللاذقية وهي على هذه الحال التي عليها وكذلك الدير، ونفي لما زعمه لويس في الآن ذاته. فهو تشبيه يثبت الحالة، لينفي الدعوى.

توظيف هذا التشبيه يحرك ذهن المخاطب لما يطرح عليه، ويوجد مـــدخلًا فاعلا لتغيير الموقف المتبنى من المخاطب الخاص والعام بوضعهم علـــى منطـــق الحقيقة.

الخاتمة

شكلت مقالات محمود شاكر رد فعل مباشر لمقالات لويس عوض، بمجابهة ثنائية التحاور(شاكر/لويس)، فلم يكن مرسلًا وإنما كان مستقبلًا، بيد أنها قد تبدو رد فعل لعقل جمعي، إذ قدمها بوصفها دفاعًا عن الثقافة العربية، ممثلة في لغتها ورسالتها. وقد احتشد شاكر بآليات رد فعله؛ ليحكم صحة دعواه وينفي دعوى لويس عوض، ابتداء بالعنوان، وانتهاء بالنتائج.

اعتمد محمود شاكر على براعته اللغوية في صياغة العناوين الرئيسة والفرعية بوصفها رد الفعل الأولي للمتلقي الخاص والعام، فجعلها متسلسلة معنى، متوازنة بنية، عاكسة لرد فعل مباشر لما يريد أن يطرحه على المخاطب، إضافة إلى الأقواس التي تخذ منها أداة فاعلة في البسط المعرفي والمفارقة اللغوية وتوطين ثرائه اللغوي إزاء خصمه، فباتت سمة أسلوبية بارزة. ولم تخل الإحالات الهامشية من رسائل مباشرة، ناقدة أو ساخرة، ليكون النص الموازي مدخلًا ناجعًا في بناء رده المنطقي الإقناعي إزاء ما طرحه لويس عوض.

وقد بدا المنحى الساخر بارزًا جليًا في رد فعل شاكر على لويس عوض، بل هو أبرز مناحي رد فعله، ليثبت من خلاله عدم قدر لويس عوض على قراءة الشعر، ومعرفة العربية، بل ينفي عنه ساخرًا أن يرتدي رداء الأستاذ الجامعي.

وقد انماز رد فعله المنطقي إزاء دعوى لويس عوض عن أبي العلاء المعري بتتبع دقيق للقضية، وعرض تفاصيلها واعتماد الحجج المنطقية؛ لإثبات أن المعري لم يعدل عن دينه ولم يتعلم على يد راهب دير الفاروس، لا سيما حجة الإيهام، وهي محورية عنده، أثبت من خلالها تعمد لويس عوض إخفاء بعض الحقائق الكاشفة لحقيقة تعلم المعري، مرتكزًا على الحقيقة الوهمية المبثوثة

للقارئ العام. واعتمد كذلك على حجة التجهيل، وهي أس اتكأ عليه محمود شاكر في إبراز خطأ لويس عوض وجهله بكثير من المعلومات.

وكانت الصورة أداة مهمة في الإقناع بما يقدمه، خصوصًا الاستعارة والتشبيه، اللذين اعتمدهما شاكر ، من خلال إيجاد المشابه المجمع عليها من المجتمع والمتعارف عليها بين الناس؛ حتى لا تكون عرضة للدحض،فحملا منحى منطقيًا إقناعيًا في طرح دعاواه أو نقد دعاوى الآخر.

ولم يخل رد فعل محمود شاكر من عنف لغوي وقسوة أحيانًا تصل إلى حد التجريح، الذي قد لا يفيد القضية، بقدر ما يقلل من الآخر في نظر مؤيديه، وإن كان قد رفض ذلك في أحد مقالاته، بيد أن القار أن شاكرًا كان عنيفًا في توجيه النقد والنقض، ولعل الدافع لذلك هو العدول الصارخ في شعر المعري عن (الصِّليان) إلى (الصُلبان)، وهو ما يؤشر إلى تعمد أو سوء طوية.

إن رد فعل محمود شاكر الإقناعي يعكس قوة في المنطق، وبراعة في استخدام الحجج، وقدر ة على توظيف الثقافة العربية التي تعكس ذوبان الشيخ فيها وذوبانها فيه.

الهوامش

١ إبراهام مولز، كلود زيلتمان: التواصل، ضمن كتاب" في التداولية المعاصرة فصول مختارة"، ترجمة: محمد نظيف (المغرب، أفريقيا الشرق،٢٠١٤)ص١٤-١٥.

٢ نفسه: ص٦٦.

٣ نفسه: ص١١-١٢.

٤ كيربرا أوريكيوني: إشكالية التلفظ، ضمن كتاب" في التداولية المعاصرة فصول مختارة"، ترجمة: محمد نظيف (المغرب، أفريقيا الشرق،٢٠١٤) ص٣٦.

٥ كيربرا أوريكيوني: فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة: محمد نظيف (المغرب، أفريقيا الشرق، ٢٠١٤) ص٣٦.

٦ جميل حمداوي: التداوليات وتحليل الخطاب (المغرب، مكتبة المثقف، ط١، ٢٠١٥) ص٢٠.

٧ محمود شاكر: أباطيل وأسمار (القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٥) ص٨.

٨ حلمي القاعود: معارك محمود محمد شاكر الأدبية: الدوافع-المضامين-النتائج (رابطة العالم الإسلامي،مج٤، العدد١٦، ١٩٩٧)ص٢٩.

٩ نفسه: ص٣٥.

١٠ دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن (الجزائر، الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠٠٨) ص٩١.

١١ عبدالحق بلعابد: عتبات جيرارجينت من النص إلى المناص (الجزائر، الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠٠٨) ص٤٨

١٢ محمد فكري الجزار: العنوان سيميوطيقا الاتصال الأدبي (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دراسات أدبية، ١٩٩٨) ص٢١.

١٣ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص٣، وموجود أيضًا على غلاف الكتاب.

١٤ نفسه: ص ١٥-٣٣-٥١-٦٩.

١٥ نفسه: ص١٢٣-١٤١-١٥٩.

١٦ نفسه: ص٧٧

١٧ نفسه: ص١٣٩.

١٨ نفسه: ص١٤٣.

١٩انفسه: ص٢٧١.
٢٠ نفسه: ص٢٧٠.
٢١ نفسه: ص٥٦.
٢٢ نفسه: ص٤٨.
٢٣ نفسه: ص٤٥.
٢٤ نفسه: ص٤٦.
٢٥ نفسه: ص٤٦.
٢٦ نفسه: ص٤٨-٦٧.
٢٧ نفسه: ص٥٣.
٢٨ نفسه: ص٥٣-٥٤.
٢٩ عاصم عامر: الخطاب السجالي في أدب محمود شاكر(منشورات الجامعة الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، مج٤٩، العدد٤ ، ٢٠١٤) ص١٠٧
٣٠ نفسه: ص٥٤.
٣١ نفسه: ص٣٣٧.
٣٢ نفسه: ص٣٣٥.
٣٣ نفسه: ص٩٠.
٣٤ نفسه: ص١٦٤.
٣٥ رائد عبيس: فلسفة السخرية عند بيتر سلوترادايك (المغرب، منشورات ضفاف، دار امان، ط١، ٢٠١٦) ص٢٢.
٣٦ نفسه: ص١٤
٣٧ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص١٤-٣٣٤.
٣٨ نفسه: ص٧٦.
٣٩ إيكهارد إيغيس: السخرية والبلاغة والحجاج، ترجمة: وئام المعردين (الجزائر، جامعة ابن زهر، كلية العلوم الإنسانية،٢٠١٤) ص١٠٣.
٤٠ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص٧٧.
٤١ نفسه: ص١٢٦.

٤٢ نفسه: ص١١٠.

٤٣ نفسه: ص١١٠-١١١.

٤٤ عبدالمجيد نوسي: السخرية ومراتب المعنى (السعودية، النادي الأدبي بجدة، مجلة جذور، مج٣، ٢٠٠٢) ص١٧٧.

٤٥ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص٧٦.

٤٦ أكتافيو باز: السخرية والشفقة (مركز مطبوعات اليونسكو، مجلة اليونسكو، مج٤٣، ١٩٩٠) ص ٢٣

٤٧ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص٣٣٦، ٩٠.

٤٨ على بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، تحقيق: محمد المنشاوي (القاهرة، دار الفضيلة، د:ت) ص١١١.

٤٩ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص ١١٨.

٥٠ نوسي: عبدالمجيد نوسي: السخرية ومراتب المعنى ص٤٨٤.

٥١ نفسه: ص١١٨.

٥٢ نفسه: ص٥٨.

٥٣ عبدالمجيد نوسي: السخرية ومراتب المعنى ص٤٨٢.

٥٤ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص ٨٢.

٥٥ إيكهارد إيغس: السخرية والبلاغة والحجاج ص١٠٤.

٥٦ نفسه: ص١٠٤.

٥٧ عبدالمجيد نوسي: السخرية ومراتب المعنى ٤٩١.

٥٨ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص١١٨.

٥٩ نفسه: ٥٨.

٦٠ نفسه: ص٥٥

٦١ طه عبدالرحمن: التواصل والحجاج (المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، د:ت) ص٦.

٦٢ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص٢٣.

٦٣ نفسه: ص٢٣.

٦٤ رشيد الراضي: الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار (ليبيا، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٠) ص٣٨.
٦٥ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص٣٨.
٦٦ نفسه: ص٤٣.
٦٧ نفسه: ص٤٣.
٦٨ التبريزي: شروح سِقط الزند، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، إشراف: دكتور طه حسين (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٦) ص ١٠
٦٩ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص٤٣.
٧٠ جميل حمداوي: مدخل من الحجاج والبلاغة الجديدة (المغرب، أفريقيا الشرق، ٢٠١٤) ص٣١.
٧١ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص٨٢.
٧٢ نفسه: ص٨٣.
٧٣ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: عبدالله التركي،(بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٦) ٢٠/١٤٤.
٧٤ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص٨٣.
٧٥ نفسه: ص٨٤.
٧٦ نفسه: ص٨٤.
٧٧ أبوهلال الحسن بن عبدالله العسكري، جمهرة الأمثال، ضبطه: أحمد عبدالسلام (بيروت، دارالكتب العلمية، ط١، ١٩٨٨)١/١٨٠.
٧٨ الميداني: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد (إيران، دار المعاونية الثقافية للأستانة، ١٩٨٧) ١/١٧٣.
٧٩ لويس عوض: على هامش الغفران (القاهرة، كتاب الهلال، العدد١٨١، ١٩٦٦) ص٩٦.
٨٠ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص٩٨.
٨١ نفسه: ص٩٢.
٨٢ نفسه: ص٩٣.
٨٣ نفسه: ص٩٤.

٨٤ نفسه: ص٩٧.
٨٥ نفسه: ص٩٨.
٨٦ نفسه: ص٩٩.
٨٧ نفسه: ص٩٩.
٨٨ عبدالله صولة: في نظرية الحجاج (تونس، مسكيلياني للنشر، ط١، ٢٠١١) ص٩٤.
٨٩ عبدالعزيز لحويدق: عبدالعزيز، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون (عمان، دار الكنوز، ط١، ٢٠١٥) ص٢٤٥.
٩٠ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص٧٤.
٩١ نفسه: ص٧٤.
٩٢ نفسه: ص١٤٣.
٩٣ عبدالعزيز لحويدق: نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون ص٢٤٣.
٩٤ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص ١٣٩.
٩٥ عبدالعزيز لحويدق: نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون ص١٧٥.
٩٦ نفسه: ص ٥٣.
٩٧ نفسه: ص٨٠-٩٠-٨٢.
٩٨ نفسه: ص٧٥.
٩٩ عبدالعزيز لحويدق: نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون ص٢٥.
١٠٠ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص ١١٤.
١٠١ نفسه: ص٧٣.
١٠٢ عبدالله صولة: في نظرية الحجاج ص٩٣.
١٠٣ نفسه: ص٩١-٩٢.
١٠٤ محمود شاكر: أباطيل وأسمار ص٥٣.
١٠٥ نفسه: ص٧٧.

المصادر :

١- شاكر: محمود، أباطيل وأسمار ،القاهرة، مكتبة الخانجي،٢٠٠٥.

المراجع :

١. أوريكيوني: كيربرا،
- فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة: محمد نظيف (المغرب، أفريقيا الشرق، ٢٠١٤)
- إشكالية التلفظ، ضمن كتاب" في التداولية المعاصرة فصول مختارة"، ترجمة: محمد نظيف، المغرب، أفريقيا الشرق،٢٠١٤.
٢. إيغس: إيكهارد، السخرية والبلاغة والحجاج، ترجمة: وئام المعردين، الجزائر، جامعة ابن زهر، كلية العلوم الإنسانية،٢٠١٤.
٣. باز: أكتافيو، السخرية والشفقة، مركز مطبوعات اليونسكو، مجلة اليونسكو، مج٤٣، ١٩٩٠.
٤. بلعابد: عبدالحق، عتبات جيرار جينت من النص إلى المناص (الجزائر، الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠٠٨.
٥. التبريزي: شروح سِقط الزند، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، إشراف: دكتور طه حسين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٦.
٦. الجزار: محمد فكري، العنوان سيميوطيقا الاتصال الأدبي (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دراسات أدبية، ١٩٩٨)
٧. حمداوي: جميل،
- مدخل من الحجاج والبلاغة الجديدة (المغرب، أفريقيا الشرق، ٢٠١٤.
- جميل، التداوليات وتحليل الخطاب (المغرب، مكتبة المثقف، ط١، ٢٠١٥.
٨. الراضي: رشيد، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار (ليبيا، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٠.
٩. صولة: عبدالله، في نظرية الحجاج، تونس، مسكيلياني للنشر، ط١، ٢٠١١.
١٠. عامر: عاصم، الخطاب السجالي في أدب محمود شاكر، منشورات الجامعة الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، مج٤٩، العدد٤، ٢٠١٤.
١١. عبدالرحمن: طه، التواصل والحجاج، المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، د:ت.
١٢. عبيس: رائد، فلسفة السخرية عند بيتر سلوترادايك ، المغرب، منشورات ضفاف، دار امان، ط١، ٢٠١٦

١٣. العسكري: أبو هلال الحسن بن عبدالله، جمهرة الأمثال، ضبطه: أحمد عبدالسلام (بيروت، دارالكتب العلمية، ط١، ١٩٨٨.

١٤. عوض: لويس، على هامش الغفران (القاهرة، كتاب الهلال، العدد١٨١، ١٩٦٦.

١٥. القاعود: حلمي، معارك محمود محمد شاكر الأدبية: الدوافع-المضامين-النتائج، رابطة العالم الإسلامي، مج٤، العدد١٦، ١٩٩٧.

١٦. القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: عبدالله التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٦.

١٧. لحويدق: عبدالعزيز، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، عمان، دار الكنوز، ط١، ٢٠١٥.

١٨. مانغونو: دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن ، الجزائر، الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠٠٨)

١٩. المعري: أبو العلاء، شروح سِقط الزند، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، إشراف: دكتور طه حسين (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٦)

٢٠. مولز: إبراهام، كلود زيلتمان، التواصل، ضمن كتاب" في التداولية المعاصرة فصول مختارة"، ترجمة: محمد نظيف، المغرب، أفريقيا الشرق، ٢٠١٤.

٢١. الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ت:٥١٨هـ، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، إيران، دار المعاونية الثقافية للأستانة، ١٩٨٧.

٢٢. نوسي: عبدالمجيد، السخرية ومراتب المعنى، السعودية، النادي الأدبي بجدة، مجلة جذور، مج٣، ٢٠٠٢.